فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق

٣٠ رجب ١٣٣٨ — ٢٩ (الحمل) (ر ا) ١٢٩٨ ه ش ٩٤ ١ إبريل ١٩٢٠

# عاقبة حرب المدنية

## الأوربية

كتبنا فى أثناء هذه الحرب مقالات بينا فيها أسبابها وعللها وحكمة الخالق فيها ونظائمها وشرورها والمقابلة بينها و بين الحروب الاسلاميه التى امتازت بالرحمة و بجعل الحرب ضرورة تقدر بقدرها و بتحريم القسوة والفظائع فيها ، والمقابلة والمقارنة بين الدول المتحاربة فى الاستعداد والمزايا وصرحنا فيها بأن عاقبتها ستكون انفراد إحدى الدولتين الرئيستين فى الحلفين الكبيرين الجرمانى والانكليزى — وهما ألمانية وانكلترة — بالسيادة والعظمة فى العالم وفاقا لقول الفيلسوف هربرت سبنسر الشهير للأستاذ الامام: إن ضعف الفضيلة وتغلب الأفكار المادية فى أوربة سيدفعان دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الأقوى ليسود العالم

ومما بيناه فى بعض تلك المقالات أن ألمانية أتقنت الاستعداد للحرب إتقاناً يمكنها من محاربة أوربة كلها وأنها فاقت جميع الدول فى السلاح والنظام ، وأن أعداءها يفوقونها بالكثرة التى تعد من أعظم أسباب الغلبة كما قال الشاعر العربى

ولست بالأكثر منهم حصاً  وإنما العزة للكاثر

وقد كان من أمر هذه المكاثرة أن انكلترة ألبت على ألمانية أكثر دول الأرض في الشرق والغرب من العالمين القديم والجديد ، وإنما كان ذلك بعلو كعبها على الألمان وغيرهم في الدهاء السياسي الذي هو أدق علوم البشر وأصعب أعمالهم مركبا وأوعرها مسلكا، قد قلت مرة لصاحب لي من الألمان المستشرقين كان يحاورني وأحاوره في المقارنة بين قومه و بين الانكليز وما بينهما من المناظرات: إنني مقتنع بأنكم فقتم الانكليز في جميع العلوم والفنون والأعمال حتى التجارة إلا ما هو أهم من ذلك كله وأعظم - وهو السياسة - فانني أرى أن الانكليز يفوقونكم فيها - فقال صدقت

وقد ذكرتني هذه الكلمة التي قلتها منذ بضع سنين بكلمة في معناها قلتها منذ بضع عشرة سنة في مجلس بدار أحد أصدقائنا بمصر مات من حاضريه لطيف باشا سليم وحسن باشا عاصم وجرجي بك زيدان و بقي صاحب الدار وأحد الباشوات قال صاحب الدار في ذلك المجلس: إنه بلغه أن ألمانية عقدت مع روسية محالفة سرية على انكلترة وسيترتب على هذه المحالفة إخراج الانكليز من مصر ومن الهند أيضا فقلت له لا تغتر بهذا الخبر فان انكلترا كانت ولا تزال تضرب بعض الامم ببعض وتكون هي الرابحة فهي كما قال مسلم بن الوليد * كالسيل يقذف جلمودا بجلمود *

إنني لم أصدق هذا الخبر في ذلك الوقت ثم تبين في أثناء هذه الحرب مما اكتشف من أسرار القيصرية الروسية أن له أصلا وأن مشروع المحالفة وضع ثم عرض ما حال دون إتمامها فان كان هذا وقع بعد ذلك الزمن الذي أخبرنا فيه ذلك المخبر به فمن الجائز أن تكون مقدماته ووسائله قد سبقته بسنين والذي نقصده من العبرة في هذه السياسة هو أن الانكليز غلبوا ألمانية على روسية فحالفوها على الترك والفرس ثم جعلوها باتفاقهم مع حليفتها فرنسة فدية لها في هذه الحرب ، فكانت مصب نقمة ألمانية الحربية في ريعان قوتها ، وعنفوان شرتها، وكذلك تعبث الأمم المليمة الحكيمة بالامم الجاهلة الخرقاء فتجعلها فدية لها كما فعل الحلفاء بأمم أخرى وكما فعل الألمان بالترك

وقد كان أعجب مظاهر قدرة انكلترة السياسية تسخير دولة الولايات المتحدة الامريكية لانقاذها وإنقاذ حلفائها من جحيم الألمان العسكري ، بعد أن عجزت أوربة كلها ومن ظاهرها من أمم آسية وأفريقية وأمريكة الجنوبية عن فل حدها

و إيقاف طغيان مدهم ، وهي الدولة التي جعلت من قواعد سياستها ترك مشاكل العالم القديم لأهله . وعدم مشاركتهم في شيء منه ، رقتها انكلترة رقيتين استخرجت بهما حيتيها من جحرها ، وزحزحتها عن قاعدة سياستها ، إحداهما دعوتها إلى إنقاذ حرية الأمم والشعوب من السيطرة الألمانية التي تهدد العالم بالاستعباد ، والثانية دهاء اليهود ونفوذهم المالي في تلك البلاد ، وقد وعدتهم انكلترة بأن يكون جزاؤهم إعادة ملك إسرائيل إلى مملكة سليمان في الأرض المقدسة بالرغم من أنوف العرب أصحاب البلاد . ومن الملتين الاسلامية والنصرانية وسكت لها على هذا الوعد أشد ذوي التحمس الديني من البروتستنت والكاثوليك حتى الجزويت منهم ، وأما المسلمون فلم يصدهم ذلك عن مساعدتها على فتح البلاد المقدسة بالجيوش التي جهزوها باسم شريف مكة سليل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحب الحجاز بقيادة بعض أبنائه ، فهل كان باستطاعة أحد من دول الأرض أن يفعل مثل هذا أو يفكر في إمكانه ؟ لا ولكن الانكليز فعلوا ما لم يكن يخطر في بال بشر فاستردوا هذه البلاد وما حولها من المسلمين الذين غلبوا قلب الأسد ملك الانكليز وسائر ملوك أوروبة في الحرب الصليبية بمساعدة الجيوش الاسلامية

طوع المستر لويد جورج وزير انكلترة الأكبر هذه الدولة بالرقيتين اللتين ذكرنا فجعلت ثروتها الكبيرة ومواردها الغزيرة وجنودها الكثيرة وقفاً على انقاذ الحلفاء من المانية بل هاجمت المانية بقوة أكبر وأعظم من كل هذه القوى - قوة الدعوة إلى الصلح المبني على اتفاق الأمم والشعوب على العدل العام والحرية الشاملة لجميع الانام ، و إبطال ماجرت عليه الدول القوية في العصور الخالية من المحالفات السرية على هضم حقوق الأمم المستضعفة وغير ذلك من أصول الحق والعدل التي مازال الأقوياء يهدمونها بمعاول القوة ، ومنها وجوب حرية البحار ، وجعل الانكليز وغيرهم فيها سواء . قام الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات يحارب المانية بهذه القوة الأدبية المعززة لتلك القوى الحربية والمالية ، فقام بتلك الخطب الطنانة الرنانة ، ووضع للصلح تلك القواعد الجذبة الخلابة ، ففعلت في ذمر الاشتراكيين والعمال الألمانيين فعل السحر ، ولاسيما قاعدة حرية البحار في زمني الحرب والسلم ، فخرجوا على حكومتهم السياسية ، وثاروا في وجه قوتهم العسكرية

وهي في أوج انتصارها ، وذروة فخارها . أمرت أسطولها بأن يهاجم الأسطول البريطاني فاعتصب بحارته وأبو الامتثال، وهددزعماء الاشترا كيين قوادالحرب باعتصاب جميع العمال ، أو يطلبوا عقد الصلح على قواعدالرئيس «ولسن» العادلة إذ هي أفضل من نصر عسكري يورث الاحقاد و يورث السياسة الجائرة ، و إنما أسست جمعياتهم وتحزبت أجزابهم لمقاومتها ، وقد سمحت لهم الفرصة فقالوا لانضيعها ، ولم يقنعهم القول بأن هذا خداع،لأن الأمريكيين غير متهمين بالكيد ولا بالاطماع ، فاستمهلتهم الحكومة ريثما تسحب جيوشها وكراعها وذخائرها من قلب فرنسة فامهلوها ، وكان ما كان من أمر طلب الهدنة واشتراط الحلفاء فيها إضعاف جميع قوى الألمان الحربية في البر والبحر والجو حتى لايستطيعوا العود.فمن المنتصر ؟ . أميركة في الظاهر وانكلترة في الباطن ، بل المنتصر إنما هم رجال السياسة الانكليزية وحدهم ، فهم الذين أقنعوا الولايات المتحدة بوجوب مؤازرة القضية المشتركة فسقطت على يدها ألمانية وساعدهم على ذلك صلف الألمان وغرورهم واحتقارهم الولايات المتحدة . وهم الذين والوا شريف مكة فكان عاملا قويا لسقوط الترك ، وهم المتصدرون لادارة دفة سياسة العالم بعد التمهيد لهذا واقتحام ما يقوم أمام هذه الادارة من العقبات . ومن ذلك إقناع الولايات المحدة باسم خدمة الانسانية وتأييد المدنية بالاشراف على تركية ، والنهوض بالجمهورية الأرمنية . و يتولون هم إدارة البلاد العربية من برقة إلى العراق فعمان ــ ماخلا سورية الشمالية فان إدارتها جعلت لفرنسة تنفيذاً لمعاهدة سايكس و بيكو من جهة وحتى لاتؤوب فرنسة بصفقة المغبون وترضى من الغنيمة بالاياب من جهة أخرى . . . ــ والبلاد الفارسية المتصلة ببلوجستان فالهند فالتبت

الانكليز يحتلون سورية الجنوبية (فلسطين) و يعملون فيها عمل الحاكم المطلق و يمهدون السبيل لمهاجرة الصهيونيين إليها ليكونوا حكامافيها تحت حمايتهم و يحتلون العراق و يعملون فيه عمل المالك بلامعارض وقد أسسوا للسواحل العربية الحجازية واليمنية محافظة سموها ( محافظة البحر الأحمر ) وأرسلوا بعثة إلى الامام يحيى ــ ولكنها أسرت قبل الوصول إليه ــ وأرسلوا بعثة أخرى إلى السيد الإدريسي

للاتفاق معه وعقدوا اتفاقا مع حكومة إيران نشر فى الجرائد فشكا منه الصحافيون ورجال السياسية فى فرنسا واحتجوا بأنه مخالف لعهد «عصبة الأمم» إذ كانت المسألة السورية معلقة بأنواط تلك الوسائل المشار إليها ، كما تحدث أولئك الرجال وتلك الجرائد بالمسألة المصرية وبما للمصريين من الحق فى المطالبة باستقلالهم وحريتهم ولم تفتر تلك الشقشقة حتى تم الاتفاق على العود إلى تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦

وقد ظهر رجحان السياسة الانكليزية على السياسة الفرنسية فى البلاد التى كانت تظن فرنسة أن سياستها فيها أرجح لمالها فيها من الصنائع والوسائل . فقد كان طلاب المساعدة الامريكية فالانجليزية من أهالى البلاد أضعاف طلاب المساعدة الفرنسية فلم يبق لفرنسة بد من اللجإ إلى إرضاء انكلترة والرضا منها بتنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ بمقابلة تصرفها المطلق فى مصر وسائر بلاد العرب والعجم

جرى كل ماذكر على طريقة السياسة الأوربية المعروفة المألوفة من تصرف الأقوياء فى الضعفاء والعلماء فى الجهلاء بعد أن ذهبت جعجعة خطب الرئيس «ولسون» فى الهواء وهو ما كنا نتوقعه من وراء هذا النصر ونحدث به من كلمنا فى عواقب الحرب وخاصة إخواننا العرب المغرورين من السوريين والعراقيين ولا غرابة فى غرور أطفال إغرار فى مهد السياسة والحركة العربية الحجازية فى بدء ظهورها تكبرها فى أعينهم بعض الجرائد

فان قال قائل : إن كتاب الله قد أثبت أن العاقبة للمتقين وقد فسر علماؤنا التقوى بأنها عبارة عن أداء المأمورات وترك المنهيات ، فهل كان الانكليز — بهذا المعنى — هم المتقين ، حتى كانت عاقبة هذه الحرب لهم بنفوذ الكلمة وعلو المنزلة والتصرف فى أرض الله الواسعة ؟ نقول . إن قول الله تعالى لاريب فيه ، وأن كلام العلماء فى تفسير التقوى صحيح ولكنه مجمل فمن فهم منه أن المراد بفعل المأمورات الوضوء والصلاة والصيام ولو على غير الوجه الذى شرعه الله تعالى وأن ترك المنهيات خاص بترك الخمر والزنا والسرقة وما أشبه ذلك — فهو قصير النظر ضعيف الفهم ، التقوى أعم من ذلك وهى تختلف باختلاف ماتطلب فيه كما بيناه فى مواضع من تفسير المنار ونبهنا أهل العصر إلى تقصير المفسرين وغيرهم من علمائنا فى بيان مافى الكتاب والسنة من الأصول الاجتماعية ومسائل السياسة والعمران

فالتقوى المكررة فى قوله تعالى ( ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا ) الآية غير التقوى فى معاشرة النساء المكررة فى سورة الطلاق ، وغير التقوى فى قوله تعالى ( وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما واتقوا الله الذى إليه تحشرون ) فلكل مقام خصوصية هى المقصود الأول من المعنى العام والتقوى فى قوله تعالى ( إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين غير ماذكر كله ، فالأولى والثانية فى أحكام الطعام والصيد وهما من الأحكام الشخصية الفردية ، والثالثة فى أحكام الزوجية وهى منزلية ( أو عائلية ) والرابعة فى شؤون الأمم والعمران وهى مايعبر عنه فى عرف هذا العصر بالاجتماعيه وكلامنا فيها . والثابت عندنا أن الانكليز أشد الأقوام عناية باتقاء الخيبة والفشل فى هذه الأمور، والألمان كذلك إلا أن الألمان فاقوا الانكليز بالتقوى الحربية فلم يدعوا شيئا من أسباب اتقاء الانكسار فيها إلا أحكموه ، ولذلك كانت العاقبة لهم فى المعارك الحربية ولكنهم لم يتقوا كالانكليز اتقاء التنازع الداخلى فوقعت الثورة الاشتراكية فى أمتهم ، وصدق عليهم قوله تعالى ( ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ) ولم يتقوا كالانكليز اتقاء سخط الأمم والشعوب عليهم فأسخطوا الأمة الامريكية على حين صارت أعظم الأمم ثروة واشتدت حاجة جميع الأمم إليها ، فكان ذلك عونا للانكليز على تسخيرها لهم ، ولم يتقوا خروج العرب على الترك باستمالة العرب وتوثيق الرابطة بينهم و بين الترك وتحذيرهم من خطر انتصار الانكليز عليهم بل سمحوا لأوليائهم سفهاء الاحلام من زعماء (جمعية الأحمرين ) — الدم والذهب — بارهاق العرب والتنكيل بهم تقتيلا وتصليبا وتذليلا وتغريبا ومصادرة وتعذيبا وهتكا للأعراض و إفسادا للأخلاق على حين كان الانكليز يجدون فى استمالة كل أمير وزعيم منهم بما يروج عنده من ضروب الاستمالة فمال إليهم بعض دون بعض وكان فيمن مال وشايعهم مشايعة فعلية أو سلبية الأمير عبد العزيز بن سعود صاحب نجد وبعض شيوخ عرب العراق ووالاهم شريف مكة (الملك حسين )وساعدهم على محاربة الترك بجيش مؤلف من بدو الحجاز وحضر سورية والعراق بقيادة أبرع أبنائه فى الغزو والقتال الأمير فيصل (ملك سورية)

وقد اعترفوا له ببلائه و إخلاصه في إعانتهم على فتح القدس الشريف وعلى إيقاع الفشل والخذلان في جيش الترك المدافع عن سورية حتى أنهزم وتركها غنيمة باردة لهم ، وصرحت جريدة التيمس الشهيرة بأن الأمير فيصلا سل حسامه في نصر الحلفاء من غير أن يحصل على أي وعد منهم بشيء ولكنه أعطي بعض الوعود بعد ما أخذ في النجاح ، وقالت إن الأمير فيصلا كان يرغب في الاستقلال التام للحجاز وحده وأما لسائر الشعوب العربية فانه يرغب لها في الاستقلال عن الترك فقط وأن تطلب كل البلاد العربية وصايا دولة واحدة عليها وتمنى دولتها انكلترا (اه ملخصا من عددها الاسبوعي المؤرخ في ١٤ فبراير سنة ١٩١٩) بل كانت موالاة الشريف أكبر مما ذكر في فوائدها السلبية والمعنوية ولا محل لشرح ذلك هنا ، ولو كان للالمان مثل دهائهم لسبقوهم إلى استمالة العرب وكانوا على ذلك أقدر ، وإذاً لاستطاعوا أن يجندوا منهم خمسمائة ألف أو ألف ألف جندي ولا أبالغ إذا زدت على ذلك ولاسيما إذا شملت هذه الاستمالة اليمن وعسير ، ووصلوا إلى شواطىء البحر الأحمر وبحر العرب ولم يكن ذلك عليهم بعسير

فان قال ذلك القائل : فهمنا معنى التقوى في السياسة والحرب ومعنى كونها من سنن الله تعالى في النجاح ، ولكن خفي علينا ما بينت في تلك المقالات من أن هذه الحرب انتقام إلهي عادل من الدول والشعوب الظالمة لنفسها والظالمة لغيرها الباغية على عباد الله التي لم تشكر نعمه تعالى باستعمالها فيما يرضيه من إقامة الحق والعدل ، وإننا نرى ألوف الألوف من البشر تئن من سلطة تلك الدول وحكمها وإذا كانت مصيبة صادقة في شكواها — لأنها مهضومة الحقوق بضعفها — فلماذا كانت عاقبة الحرب استمرار عقاب الله لها بالاستذلال والحرمان من الاستقلال ، ورفع العقاب عن أولئك الباغين ، وتحكيمهم في بلاد قوم آخرين ؟

إن قال ذلك القائل هذا القول وأورد علينا هذا الاشكال فاننا نجيبه بأن مايراه هو مشكلا لا نراه نحن كذلك ، فاننا نرى أن الأمم المستضعفة الظالمة لنفسها المظلومة من قبل الأقوياء المسلطين عليها بما كان من تفريطها ، لم يمحصها ما حل بها و يرجعها إلى رشدها ، وأن الدول الباغية الظالمة قد ذاقت من الشدائد التي تعامل المستضعفين بها ، ولم تتب وترجع إلى ربها ، وكذلك شأن الدول والأمم

التي غلبت بهذه الحرب على أمرها ، فالعقاب الالهي لكل أمة ودولة لم ينته بهذه الحرب . ولاهي انتهت بما وضع من معاهدة الصلح مع بعض المتقاتلين دون بعض

وما ذكرنا من فوز بعضهم وعلو كلمته بما بيناه من سببه . لادليل على ثباته ودوامه . و إذا طال العهد عليه بحثنا عما اقتضى ذلك من أسبابه وسنن الاجتماع فيه ، وانما نرى هذا الفوز والفلاح يكاد يجر وراءه أسباب خسار وخذلان ، أهمها خسران الانكليز ذلك الصيت الحسن ، الذي غرسوا فسيله ، وزرعوا بزوره ، وتعاهدوا زرعه بما ينميه عدة أجيال ، حتى كانت الشعوب المتململة من سلبهم استقلالها تفضلهم على غيرهم ، والشعوب المتألمة من غيرهم تتمنى لو تتفيأ ظل حكمهم ، ولكن لايزال في الشعب الانكليزي ذي العرق الراسخ في مكارم الأخلاق ، و بعد الروية وطول الاناة ، وحب العدل والانصاف رجال يرجى أن يرجحوا القوة المعنوية ، على القوة المادية ، ويراعوا الانقلاب الاجتماعي الجديد الذي فجرت هذه الحرب قواه التي جمعت في عهد بعيد كما تتفجر البراكين من الأرض بآخر نقطة أو دفعة من الغازات المولدة للضغط فاذا قدر هؤلاء الرجال على مقاومة الاطماع الاستعمارية ووضعوا لدولتهم سياسة جديدة تتفق مع مصالح مصر والهند والعرب والفرس وسائر الشعوب بقائها على مراعاة ما أشرنا إليه من الانقلاب الاجتماعي الاكبر - إذا قدر هؤلاء الفضلاء العقلاء على ماذكرنا ، وتركوا لهذه الشعوب استقلالها في إدارة بلادها وسياستها وحالفوها على أن يكونوا هم المقدمين على جميع أمم المدنية في مساعدتها العلمية والفنية التي تعزز استقلالها وتعمر بلادها ، ورضوا من المكافأة على ذلك بالمنافع الاقتصادية والأدبية ، التي تكون بالتراضي لا بالقوة الاحتلالية ، فانهم يؤسسون لشعبهم السكسوني المجيد ، مجدا طريفا إلى مجده التليد ، بحيث يرجى أن يكون خالدا لايبلى ولا يبيد ، مالم يرجع عن هذه الطريقة أو يحيد ، وحينئذ تكون له العاقبة الثابتة ، ويسترجع أضعاف مافقد من ثروته الهالكة ، من غير نفقات كبيرة ، كالنفقات التي لا يزال يتكبدها باحتلال البلاد المغلوبة ، ويكون سببا لاصلاح الكون ، وعمران الأرض / . .

أكتب هذا باملاء العقيدة الثابتة ، المؤيدة بالدلائل الاجتماعية الناهضة ، لا بباعث الاغراض القومية ، أو قصد الايهامات السياسية ، تاركا تصديقه للزمان ، وتفسيره لحوادث الأيام ، وسنن الله في الأنام ، لامبدل لسنته ولامعقب لحكمه ولا راد لمشيئته

# نموذج

## من كتاب الفلسفة السياسية

تأليف المؤرخ الفيلسوف غوستاف لوبون الفرنسي
والترجمة لعبد الباسط افندى فتح الله البيروتى

عقد المؤلف الباب الأول من كتابه هذا لبيان أغلاط قومه فى الفلسفة السياسية الاستعمارية .وجعل موضوع الفصل الأول منه بيان المبادىء والقواعد التى جروا عليها فى الاستعمار فقال : —

### مبادينا الاستعمارية

لاريب فى أن المنازعات الاقتصادية بين الغرب والشرق ستكون من شواغل الفكر الجديد فى القرن العشرين. وستنبع من الخراب والدم المهراق أكثر مما استتبعته حروب الأزمنة الخالية ، وسيكون للمستعمرات فى هذه الخصومات القائمة بين مدنية ومدنية الشأن الكبير .و إذا لم يبق اليوم من يمترى فيما لنا من المصلحة فى الاحتفاظ بمستعمراتنا فليس فى وسعنا أن لا نبالى بما يتعلق بها من هذا القبيل

إن إدارة المستعمرات التى أنشأتها الأمم الأوربية تقوم على قواعد جدلية. و إذ كانت هذه القواعد من بنات التجربة كان ينبغى أن تكون هى هى لدى الجميع. بيد أنها تختلف اختلاف الأمة عن الأخرى .

قد يكون فى هذا التعبير عن اختلافها شىء من المبالغة لأن طرق الاستعمار التى تسلكها الدول الأوربية يمكن ردها إلى اثنتين تسلك الأولى منهما نحن الافرنسيين وحدنا ، والأخرى يسلكها ما عدانا من الأمم. و إنما تنشىء المستعمرة كل أمة لتستفيد منها وتبقى لها . أما نحن فاننا نترفع عن أمثال هذه الأفكار السخيفة ولكن لا يبرح بالنا أن وظيفتنا هى اتحاف شعوب الأرض بمنافع المدنية . لذلك نرى أن نحكم فيهم بأوضاعنا وأفكارنا ، تلك الأوضاع والأفكار التى هم و باللاسف مجمعون على إبائها و إذ كنا موقنين بما لنا من الحق الصحيح فانا نصر على العمل بمذاهبنا . وسنظل

كذلك حتى يقوم لنا من الفشل المتواتر دليل قوى على أن مبادئنا الاستعمارية العظمى إن هي إلا أغلاط مخزنة فى كاتى جهتيها النظرية والعلمية على حد سواء .

عقدت فى كتابى «مدنيات الهند» فصلا بينت فيه أصول الادارة التى تعمل بها انكلترة فى فتح مستعمراتها وتدبير شؤونها خصوصا الهند ، وكيف أن هذه المستعمرة قد أخضعت بأموالها ورجالها نفسها . و بأى حكمة هى مسوسة . وكيف يمكن أن تذهب هذه الامبراطورية العظيمة ذات يوم من أيدى المتغلبين عليها إذا هى حملت على مبدأ واحد من مبادىء الفلسفة السياسية الخاطئة . و إذا كنت مضطراً إلى الاختصار فسأقصر البحث فى هذا الفصل على الآراء الرائجة فى فرنسة لسياسة أدنى مستعمراتنا إلينا وهى الجزائر وعلى النتائج التى يؤدى إليها العمل بتلك الآراء

إن الكتابات عن الجزائر لا تعد . غير أن كتابين منها كتبهما مؤلفان مضطلعان بالأمر فضمناهما الوسط من الآراء المقبولة أحدهما ألفه العلامه «لوروا بوليو» من أساتذة مدرسة فرنسة ، والآخر ألفه مسيو « فينيون » من قدماء القناصل الافرنسين

ليس من غرضى فى هذا الفصل التحقيق بالتفصيل عن نتائج استعمارنا الجزائرى ولكن أقصد إلى بيان قيمة الفلسفة السياسية التى كان وسيكون عليها مدار العمل فى إدارة البلاد زمنا طويلا فيما أرى وسيكون انتقادى للمبادىء فقط لا للرجال العاملين بها . لأن الذى يتصرف برجال الدولة هى الضرورات السياسية لا النظريات العلمية . ولما كانت الضرورات عبارة عن بنات الآراء فالى الآراء ينبغى أن توجه المؤاخذة لا إلى الأشخاص المكرهين عن احتمالها . إذ ليس فى استطاعة الواحد منهم أن يتولى الحكم بدونها . وأما تغييرها ففى غاية من الصعوبة لأن الشعب الافرنسى الذى هو بحسب الظاهر أدنى إلى الانقلاب من كل شعب قد يكون فى الحقيقه أكثر شعوب الكون تمسكا بقديم .

إن الجزائر ناحية تساوى فرنسة فى مساحتها . لكنها قليلة السكان . يقطنها ستة ملايين من المسلمين المخلصين لأوضاعنا على رواية التقارير الرسمية . ولكن الحق الواقع أن هذا الاخلاص محتاج فى تمكنه إلى جيش مؤلف من ٦٠,٠٠٠ رجل ، أعنى قدر الجيش الذى يستخدمه الانكليز لاستبقاء طاعة — ٢٥٠ —

مليون هندى منهم ٥٠ - - مليون مسلم [1] هم أكثر مهابة وأصعب مراسا من أهل الجزائر إخوانهم فى الدين .

ثم إن بين سكان الجزائر المسلمين ثمانمئة ألف من الأورو بيين نصفهم فرنسيس فقط والنصف الآخر أسبان وطليان ومالطيون الخ . هذه العناصر الأوربية على اختلاف أصولها لاتتزاوج مع المسلمين وإنما تتزاوج فيما بينهما ولا تلبث أن يتكون منها شعب ذو أخلاق متميزة مصالحه ستكون بالطبع أدنى إلى مصالح الجزائر منها إلى مصالح أم الوطن [2] تلك التى هى بمثابة صيرفى — كما هو الظاهر حتى الآن — دأبه أن يمنح البلاد سككا حديدية ومؤسسات عمومية وعطايا مختلفة

والمسلمون الذين هم القسم الأعظم من أهل الجزائر يحتوى سوادهم على سلالات من كل فاتح من فاتحى افريقية ، ويظهر أن جمهورهم ثلثاه من البربر والثلث الآخر من العرب . وبين الفريقين فوارق ولكنها ضئيلة أهمها ما به ينقسمون إلى بدو وحضر . وسترى فيما يأتى — خلافا للرأى الشائع — دليلا على أن كلاً من من العرب والبربر منهم البدو ومنهم الحضر



*

وأما كتاب ( موسيولوروا بوليو ) فيمكن تلخيصه بكلمة واحدة تعرب عن الفكرة السائدة فى فرنسة بشأن الجزائر وهى : فرنسة المسلمين . أى إنحالهم عادات الفرنسيس وأخلاقهم . والطريقة السياسية التى سلكت حتى الآن لفرنسة هؤلاء المسلمين أو الاستيلاء عليهم بالفتح المعنوى تشبه مناهج الأميركان الأولى فى معاملة أولئك الحمر الجلود إذ كانوا يغتصبون أرضهم التى فيها صيدهم ثم يتركونهم يموتون كما يشاؤون جوعا . هذه هى طريقتنا الادارية فى الاكتساح على

(١) المنار : لعل المؤلف اعتمد فى هذه الارقام على إحصاء قديم أو أراد بهذا العدد أهل الولايات التى يتولى إدارتها ولاة من الانكليز دون البلاد المستقلة فى إدارتها الداخلية ومجموع سكان جميع الهند تزيد على ٣٠٠ مليون والمسلمون منهم يبلغون زهاء ٩٠ مليون على ما سمعت من بعض أفاضلهم

( ٢ ) أم الوطن الفرنسي باريس

وجه التقريب . ولقد أجاد في وصفها مسيو فينيون إذ قال :

« لما رأت الدولة أن الولاة يصادرون قسما من أرض القبائل عقب كل ثورة حسبت أن العدالة تمكنها من منح أحاسن تلك الأراضي للمستعمرين بعد صد أربابها الوطنيين عنها

« وكلما انتشر العنصر الأوربي كان الوطنيون يطردون عن تراث آبائهم بحيث أمسى الكثير من القبائل بعيداً عن الناحية التي كانت وطنا له

« وأما نتائج مثل هذه السياسة التي استمرت أكثر من ثلاثين سنة فلا يمكن أن تكون مبهمة : وهي أن العربي الذي رأى نفسه في رجوع مستمر لم يبق له شيء من الثقة بأن يجني ثمرة عمله ولم يعد يفكر في إتقان حرثه ولا تحسين أرضه . والذي حرم أرض قبيلة المزروعة ومنع حق الانتفاع بموارد الماء لم يعد يستطيع الصبر على المحل وقلة القوت وموتان الماشية وانقراضها . وكل هذه الآلام والمصائب ما كانت إلا لتذكي الضغن في قلب الوطني على المستعمر وتزيد في انفراج مسافة الخلاف بينهما

« وأما قرار مجلس الشيوخ الذي صدر عام ١٨٦٣ وأعلن حق تمليك الأراضي للقبائل التي كانت متصرفة فيها فلم تكن فيه مباينة الطريقة دفع القبائل وصدها عن أراضيها ولكنه غير اسمها وهيئتها إذ صارت تسمى اليوم باسم [الاستملاك لأجل المنافع العمومية [1]] ويمتاز هذه الطريقة بخاصتين : إعطاء الأرض إلى المستعمر بعد سلبها من الوطني وتكوين مناطق أوربية محضة يزاح عنها الوطني وإن كان من المالكين ويقضى عليه بعد انتزاع ملكه بالفقر . نعم إن مالك الأرض الأول يعوض عن أرضه ببدل نقدي تعينه المحاكم وهو يتراوح بين ٥٠ — ٦٠ فرنكا لكل هكتار أي أنه يبدل بثلاثين أو أربعين هكتاراً من الأرض التي كانت تؤتيه كل موارد العيش الرغد مدة حياته مقدار من المال ( ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ ) فرنك لا يكاد يقوم بأوده عاما واحداً أو عامين »

وكان الاستعمار الرسمي أغرب أشكال التنفيذ لسلطة الحكومة القادرة على كل

---

(١) الاستملاك في اصطلاح القانون العثماني : انتزاع الملك من صاحبه بعد تقدير ثمنه بمعرفة لجنة مخصوصة ويسمى في مصر «نزع الملكية»

شيء في الجزائر . آه ! لو تقرأ تاريخه في الكتاب الذي اقتبست منه الشاهد المتقدم إذن لرأيت نتائج إقطاع تلك الاراضي مجانا كل فئة من الساقطين الذين لا توازي قابليتهم لحرث الأرض إلا كفاءتهم لتعليم اللسان السانسكريتي ، ولو رأيت نتائج إنشاء تلك الضياع الرسمية التي صارت اليوم قاعا صفصفا ...

هذه التجربة المهلكة وما استلزمته من النفقات الباهظة لم تك كافية لهداية عمالنا لأن أحدهم قد طلب منذ بضع سنين خمسين مليوناً لينتزع بها من العرب أملاكا ينشيء فيها ضياعاً مكان الضياع التي أذلها وأشقاها الخراب ! ولكن دار الندوة - ولحسن الحظ - ردت اقتراحه هذا لأنه ولا ريب يدعو المسلمين إلى الثورة ويحتفر هوة جديدة تتردى فيها ملايين أم الوطن [1]

ألا وإن في عرض مثل هذا الاقتراح والبحث فيه - حتى أوشك أن يستجاب له - لدليلا على أن الرأي الاستعماري الافرنسي لا يزال في الدرجة السفلى من التثقيف

ولا عجب إذا كلفتنا الجزائر المبالغ الجسام بفضل أمثال هذه التجارب لأن ما أنفقناه عليها يقدر باربعة مليارات عدا جبايتها نفسها . فهل ترانا أمنا البلاد على الاقل بهذا المقدار من الاموال المبذولة ؟ إذا صدقنا بذلك فلا ينبغي أن ننسى أن علينا أن نقوم بنفقة جيش عظيم لنحفظ فيها السلام حفظاً ما .

*

منذ فتح الجزائر تناوب سياستنا الاستعمارية مبدآن كان يرجح الواحد منهما على الآخر تبعاً لحركة الرأي العام أما إحداهما فهو انتزاع ملكية العرب ودفعهم إلى الصحراء ، وأما الآخر فجعلهم فرنسيسا بحملهم على أوضاعنا .

غير أن العرب لم يندفعوا بما أقاموا من الحجة البالغة وهي أن الصحراء لم يعد فيها معاش لأحد ، وقبلوا أن يرضوا بالموت جوعاً جمل الملايين منهم يعارضون بالمقاومة . فلاهم قبلوا التفرنج ولاهم رضوا بالاندفاع لأنه لم يوجد حتى الآن شعب

(١) المنار : المراد ملايين دراهم (فرنكات) أبناء أم الوطن باريس

تمكن من تعبير وضعه المعنوى من أجل انتحاله وضع أمة أخرى فكلتا الطريقتين ممقوتتان والانتقال من إحداها إلى الأخرى لايرجى منه إصلاح لهما . و بناء على هذا فستظل سلسلة هذه التجارب المدمرة تزداد حلقة بعد حلقة إلى أن يأتى يوم يهتدى فيه حكامنا فيعترفون أن أبسط حل لهذه المشكلة وأقله مؤنة وأوفره حكمة . هو أن يتركوا للبلاد المفتتحة أوضاعها وعاداتها وشكل حياتها وعقائدها كما تفعل الأمم المستعمرة كلها خصوصاً الانكليز والفلمنك .

أما هذا الحل فقد يكون الآن ضرباً من المحال لأن الرأى العام ضد له بدليل ماترى من سلوك أهل الحل والعقد فينا ومانجده من الأفكار المنبثة فى الجرائد والمؤلفات

ولما كنا نحن أهل الغرب قد أطلقنا من قيود العقائد الدينية [1] فانا نظن الأمر كذلك فى أرجاء العالم كافة . وقليل من المؤلفين الأور بيين الذين أدركوا أن أمر الدين فى الشرق فوق كل الأمور ، فان الاوضاع المدنية والسياسية والحياة الاجتماعية والفروية هي عند أتباع محمد كما هى لدى أتباع صاوا و بوذه مرجعها إلى الشريعة الدينية . والاكل والشرب والنوم والحرث كلها أفعال عبادة عند أهل الشرق.

ولقد أدرك الانكليز ذلك حتى أنهم رغم تصلبهم فى مذهبهم البروتستانتى ليرممون فى الهند معابد الوثنيين ويجرون على كهنتها الوظائف الواسعة على حين يضنون على رسل دينهم بأدنا المساعدة و إنك مهما تحريت لاتمر برجل واحد تحت سماء انكلترة يؤيد القول بأن دمار مستعمرة أولى من تعطيل مبدإ .

ولقد كان ينبغى أن يكون أساس سياستنا حماية الدين الاسلامى والاستظهار

---

(١) المنار : المراد بقيود العقائد ما كانت الكنيسة تقيد به حرية العلم والارادة والعمل من قيود الحظر والتحريم التى تعوقها عن السير فى سبيل الرقى وهذه القيود لا وجود لها فى الاسلام ولكن الذين اتبعوا سنن من قبلهم من متفقهتنا اخترعوا لنا قيودا مثلها ونحن نعانى الصعاب فى كسرها أو الانطلاق منها مع الحذر من الغلو الذى جنى على الغربيين بترك بعضهم للعقائد نفسها لا القيود التى أضيفت اليها فقط

بذوات النفوذ من جمعياته الدينية وتأييد سلطة الفقهاء عوضا عن مناجزتها و إضعافها إن أول «مقيم» افرنسي في تونس كان من نوادر الحكام المضطلعين بشؤون الشرق فقد دل على مبلغه من الحصافة في السياسة إذ طلب إلى باي تونس إذ ذاك أن يصدر منشورا دينيا يثبت للمؤمنين مشروعية الأحكام التي كان يريد وضعها لكن ما كان أسرع أولي الأمر منا إلى عزله .

احترام شعائر الدين عند العرب هو باحترام أوضاعهم لأن الأوضاع إنما هي متفرعة عن العقائد الدينية كما بينت آنفا — بيد أن « موسيولوروا بوليو » يرد هذه السياسة و ينعتها بسياسة «التعفف» و يقول «إن الاحترام التام لسنن ما يسمى بالقومية العربية وأخلاقها وعاداتها يقضي بترك جيشنا ومستعمرينا الارض أفريقيا» لماذا يا ترى ؟ قد ذهل المؤلف عن بيان السبب ، وإنه ليعسر عليه فيما أظن أن يجد لرأيه طلاء من سبب معقول . إن السياسة التي أقرها هنا هي عين السياسة التي يجرى عليها الانكليز مع المسلمين في الهند دون أن يكون لهم ( أي الانكليز ) أقل ميل إلى ترك ملكهم ذاك العظيم

وأما الوسائل التي يشير بها « موسيولوروا بوليو » فهي موافقة لآرائنا في المساواة العامة ومؤداها « مزج العنصر الوطني بالعنصر الاوربي » وتعريف هذا المزج حالة لجماعة تجرى فيها على شعبين مختلفين في الاصل أحكام اقتصادية واجتماعية واحدة وقوانين عامة واحدة مع خضوعها من حيث الانتاج لمؤثر واحد

هذه الصورة تبدو باهرة وهي مرسومة على الورق . وانها لأمنية المساواة التي يتمناها أهل النظر منا من أبناء سنة ٩٣ والوقت الحاضر . ولكن يسخر منها أدنى المستخدمين في حكومة الهند الملكية . ولا عجب فقد يمكن أن يكون الرجل عالما مشهورا ولا يكون له إلمام بالهاوية التي تفصل الشرقي عن الغربي في الافكار والوجدان .

على أنا نجد المؤلف يتنبه لبعض العقبات في سياسته المزجية ولكنه يتسورها بسهولة ، فهو يوقن من غير دليل « أن البدو لا يختلفون عن الأوربيين إلا في أمر

واحد » ألا وهو الدين ؟ فما أعظم هذا الخطأ ! وقد يكون الأقرب إلى الحقيقة أن يقال إن بين غلوىّ من عصر برينوس و بين باريزىّ من أبناء اليوم من الفرق العظيم مثل ما بين أوروبى متمدن و بين بربرى من أبناء الزمن الحاضر ، و بزعم (مسيو لوروا بوليو ) أنه لما كان البربر والأوروبيون من أصل واحد بقى العرب وحدهم موضوعا للفرنسة فهم الذين ينبغى أن يفرنسوا و يظهر له أن الأمر سهلا جدا « ينبغى — حسب إيضاحه — أن تغير مناهج القبيلة تغييرا تاما وكذلك طريقة الملك وتعدد الزوجات فاذا تم ذلك لم يبق إلا تفاريع يظفر بها بمرور الزمن »

هذه التحولات الصغيرة التى قد تسر الخلص من الاشتراكيين يراها المؤلف من السهولة بحيث لم ير فى بيان الوسيلة اليها فائدة . غير أنى أظهر أن كل من ألف النظر فى طبيعة العرب المعنوية يجد أن مافى إحداث هذه التغيرات من الصعوبة لايقل عما يوجد منها فى جعلك واحدا من أبناء استرالية أستاذا فى كلية فرنسة.

و (موسيو بوليو ) ليس بذى شفقة على العرب الذين ينظر إليهم نظره إلى فئة من الهمج و يحسب أن مجتمعهم مكون على الصورة القديمة لشكل شعب بدوى فهو يظهر أن كل العرب من قبيل الرعاة وأن البربر من أهل الحضر .ومن يقرأ ما كتبه ابن خلدون فى القرن الرابع عشر يعلم أن قسمة بربر الجزائر إلى بدو وحضر ليست بنت الأمس . وأما التمييز بين البربر والعرب الذى جنح له فريق من المؤلفين من حيث القابلية للتمدن فانه كان مبنيا على ملاحظات جد سطحية لا يستطاع اليوم تأييدها ، ولما كان شكل الوجود متعلقا بالبيئة كانت الحياة الاجتماعية بنوعيها بدوية وحضرية تابعة لطبيعة الأرض لا لطبيعة السلالة . ففى السهول المرملة يكون كل من العرب والبربر من الرحل كما أن كلا منهم يكون مقيما فى الجهات المخصبة وفى كل قطر يسكنه العرب : كالجزائر ومصر وسورية والجزيرة تجد منهم البدوى والمتحضر، غير أنى لا يظهر لى أى من العرب المتحضرة والبربر المتحضرة يفوق الآخر من حيث الكمال العقلى . و إذا لم يكن بد من الميل إلى إحدى الطائفتين فالأولى أن يكون إلى العرب أصحاب تلك المدنية القديمة الباذخة. لأن البربر ما كانت لهم إلا مدنية طفلة ناقصة

وأ كثر مايلح به (موسيو بوليو) من الاصلاح منع تعدد الزوجات ، ولكنه يذهل دائماً عن أن يبين لنا الوسيلة العملية إلى ذلك ،فهو يفيض فى بيان فوائد وحدة الزوج و يظهر لمعاصريه أن البيت هو فى الأصل ملك المرأة الفرد و بدونها تفقد العائلة روحها، و يفقد البيت أداة سعادته ،ويقول أن التعدد من أعظم الأسباب فى ركود المجتمع العربى .

بيد أنى لا أريد أن أدخل جوف المسألة ،ولا أن أعترض بأنه لما كان تعدد الزوجات مذهبا للشرقيين كافة كان لابد لهذه العادة من أسباب قوية . كما أنى لا أتكلف توجيه النظر إلى أن التعدد الشرعى عند المشارقة هو خير من التعدد النفاقى عند الأوربيين وما يتبعه من المواليد الحرام ، فان فى كتابى (تاريخ الحضارة العربية ) شرحا كافيا لهذه المسائل وغيرها والناظر فيه يجد أن دور «الحريم» فى عهد الدولة العربية أنتجن من bas-bleus والنساء العالمات قدر ما أنتجت مدارس إناثنا من ذلك . ولقد اتضح اليوم أن تعدد الزوجات ما كان قط سبباً فى ركود المسلمين ، وهل من حاجة بعد إلى التذكير بأن العرب وحدهم هم الذين أظهروا لنا العلم اليونانى — اللاتينى ، وأن مدارس أوربة الجامعة — ومنها جامعة باريس — عاشت ستمائة عام بفضل ماترجم من كتبهم و بنهجها مناهجهم؟

ثم أن المدنية العربية كانت من أبهر المدنيات التى عرفها التاريخ . نعم أنها قضت كما قضى كثير غيرها ،ولكن من القناعة بالأدلة السطحية أن نعزو إلى تعدد الزوجات ماهو نتيجة لغيره من العلل المهمة .

على أنه لم يتضح لنا السبب فى كراهية الاستاذ الفاضل لتعدد الزوجات وهو ينبئنا أن التعدد محصور فى البيوتات الموسرة ،وانه قد قل انتشاره .فاذا صار التعدد إلى غاية من الندرة وقلة التأثير فما باله يبغى إبطاله ؟ وكيف يمكن إقامة الدليل على أن هذه العادة « من أعظم الاسباب فى الركود الذى يتصف به المجتمع العربى[1] »

(١) المنار : ليتأمل هذا البحث الذين يقلدون منا أصحاب الاهواء السياسية فينا فهذا العالم الفيلسوف يقرر ما يعتقد عن بحث وعلم وأولئك السياسيون يبثون فينا مايحبون أن نحملونا عليه لأجلهم لا لأجلنا .

بعد (موسيو لوروا بوليو) تربيتنا اللاتينية من الوسائل المقدمة لاصلاح العرب لاجرم أن هذا هو الرأى العام واليوم . وقد كان لى منه نصيب كبير الناس . ولم أعدل عنه إلا بعد تجشم الكثير من الأسفار وتوفير البينات ، وإنى - وإن لم يكن لى أمل فى هداية واحد من القراء الفرنسيس إلى رأيى - لابد لى من بسط فكرى كله نظرا لخطورة الموضوع فى فصل أبين فيه أن التعليم الاوربى عدا كونه لا يحسن شيئا من حالة الوطنيين ، لا نتيجة له سوى إشقائهم مادة ومعنى ، وما كان ليستحيل على أحد استدراك أسباب الأثر السيء الذى أحدثته تربيتنا الأوربية فى سلالات هى أدنى من السلالة الأوربية أو بينهما فرق عظيم . تلك التربية التى اتخذناها بعد تطورات ملائمة لشعورنا وحاجاتنا ما كانت لتلائم شعورا وحاجات تخالفها . وما كانت نتائجها الأولى غير مفاجأة العربى أو الهندى أو غيرهما من أهل الشرق لسلب ميراثه من الأفكار التى قامت عليها أوضاعه وعقائده التى هى قاعدة وجوده ولا تحققت أمنية (موسيو لوروا بوليو) وغيره من المؤلفين الذين يطرون تربية العرب الأوربية لكانت لنا الجزائر كما كانت البندقية للنمساويين وكإرلندة اليوم للانكليز وكالالزاس للألمان .



## كشف الشبهات (*)

## ٢

فاذا عرفت أن هذا الذى يسميه المشركون فى وقتنا «الاعتقاد» هو الشرك الذى أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين (أحدهما) أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء أوثانا مع الله إلا فى الرخاء . وأما فى الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) وقوله (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو

(*) تابع مانشر فى الجزء السادس من هذا المجلد

أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين؟ بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه إن شاء وتنسون ماتشركون ) وقوله ( وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا إليه - إلى قوله - قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ) وقوله ( وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ) . فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لاشريك له وينسون ساداتهم - تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين . ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا ؟ والله المستعان . .

والأمر الثاني — أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما نبيا وإما أولياء وإما ملائكة . ويدعون أشجارا وأحجارا مطيعة لله ليست عاصية . وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به



إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ماذكرنا وهي من أعظم شبههم ، فاصغ سمعك لجوابها ، وهي أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لايشهدون أن لا إله إلا الله ، ويكذبون الرسول ، وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟ . فالجواب أنه لاخلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الاسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه ، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الزكاة ، أو أقر بهذا كله وجحد الحج . ولما لم ينقد أناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم للحج أنزل الله في حقهم ( ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن

, كفر فان الله غنى عن العالمين ) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال جل جلاله ( إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا ) فاذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء في كتابه الذي أرسل إلينا

ويقال إذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة إنه كافر حلال الدم بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان . لايجحد هذا ولاتختلف المذاهب فيه وقد نطق به القرآن كما قدمنا فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الانسان شيئا من هذه الأمور كفر ولوعمل بكل ماجاء به الرسول وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لايكفر سبحان الله ما أعجب هذا الجهل

ويقال أيضا : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويؤذنون فان قال إنهم يقولون إن مسيلمة نبي . قلنا هذا هو المطلوب . إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي صلى الله عليه وسلم كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان ويوسف أو صحابيا أو نبيا في مرتبة جبار السموات والأرض ؟ سبحان الله ما أعظم شأنه ! ( كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون )

ويقال أيضا الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار كلهم يدعون الاسلام وهم من أصحاب علي وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالها ؟ فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين أم تظنون الاعتقاد في تاج وأمثاله لايضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر ؟

ويقال أيضا : بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقال أيضا : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وانكار البعث وغير ذلك . فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب « باب حكم المرتد » وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ، ذكروا [1] أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله ، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب

ويقال أيضا : الذين قال الله فيهم ( يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ) أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون ؟ وكذلك الذين قال الله فيهم ( قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ) فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون (ثم تأمل) جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق

ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى ( اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ) وقول ناس من الصحابة «اجعل لنا ذات أنواط» فحلف صلى الله عليه وسلم أن هذا نظير قول بني إسرائيل ( اجعل لنا إلها )

---

(١) أي ذكروا في هذا الباب الخ

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون إن بني إسرائيل لم يكفروا وكذلك الذين قالوا « اجعل لنا ذات أنواط » لم يكفروا . فالجواب أن تقول : إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك . وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ ، ولا خلاف أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك ولو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب .

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك ، لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل «التوحيد فهمناه» أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان (وتفيد) أيضا أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ ( وتفيد ) أيضا أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديداً كما فعل رسول الله ﷺ .

وللمشركين شبهة أخرى يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله وقال « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » وكذلك قوله « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » وأحاديث أخرى في الكف عن قالها ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل : فيقال لهؤلاء الجهلة معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام . وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار . وهؤلاء الجهلة يقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه ؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى

الاسلام إلا خوفا على دمه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه مايخالف ذلك وأنزل الله تعالى فى ذلك ( ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ) أى تثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت فاذا تبين من بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله ( فتبينوا ) ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى ، وكذلك الأحاديث الاخر وأمثاله ، معناه ماذكرناه، إن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه ، إلا أن يتبين منه ماينافض ذلك .

والدليل على هذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى قال « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » وقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله لا الله » هو الذى قال فى الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا حتى أن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم ، وتعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم « لا إله إلا الله » ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة

وكذلك ماذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بنى حنيفة ، وكذلك أراد صلى الله عليه وسلم أن يغزو بنى المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله ( يا أيها الذين آمنو إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ) وكان الرجل كاذبا عليهم . وكل هذا يدل على أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث التى احتجوا بها ماذكرناه

ولهم شبهة أخرى وهى ماذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا

والجواب : أن نقول سبحان من طبع على قلوب أعدائه ! فان الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى فى قصة موسى ( فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ) وكما يستغيث الانسان بأصحابه فى الحرب أو غيره فى أشياء يقدر عليها المخلوق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التى يفعلونها عند قبور الأولياء أوفى

غيبتهم فى الأشياء التى لا يقدر عليها إلا الله . إذ ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز فى الدنيا والآخرة أن تأتى عند رجل صالح حى يجالسك ويسمع كلامك تقول له أدع الله لى كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه فى حياته وأما بعد موته فحاش وكلا أنهم سألوا ذلك بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه

ولهم شبهة أخرى وهى قصة ابراهيم لما ألقى فى النار اعترض له جبريل فى الهواء فقال : ألك حاجة ؟ فقال ابراهيم أما إليك فلا . فقالوا فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على ابراهيم

فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه فانه كما قال الله فيه ( شديد القوى ) فلو أذن له أن يأخذ نار ابراهيم وما حولها ويلقيها فى المشرق أو المغرب لفعل ولو أمره الله أن يضع ابراهيم عنهم فى مكان بعيد لفعل ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غنى له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه أو يهبه شيئا يقضى به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟

***

ولنختم الكلام بمسئلة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم لكن نفردها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول : — لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فان اختل شىء من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فان عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند ككفر فرعون وإبليس . وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون « هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق ولكن لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم » أو غير ذلك من الأعذار ، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشىء من الأعذار كما قال تعالى ( إشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ) وغير ذلك من الآيات كقوله ( يعرفونه كما يعرفون

أبنائهم ) فان عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص ( إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ) .

وهذه المسئلة مسئلة طويلة تبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد . وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولاها قوله تعالى ( لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ) فاذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر و يعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها . والآية الثانية قوله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الآية ) فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعل خوفا أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله ، أو فعل على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره

فالآية تدل على هذا من وجهين الأول قوله ( إلا من أكره ) فلم يستثن الله تعالى إلا المكره ومعلوم أن الانسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها والثاني قوله تعالى ( ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا ) فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين ومحبة الكفر و إنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا

---

انتهى كتاب كشف الشبهات

# تقرير لجنة مشيخة الازهر الشريف (*)

## المؤلفة لفحص مشروع تعميم التعليم الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر

ياصاحب الفضيلة : بما لك من الحق الشرعي والرياسة الكبرى الدينية فى الديار المصرية . أصدرت أمرك إلينا بتعيين لجنة منا لفحص مشروع تعميم التعليم الأولى مع تقريره الذى أصدرته لجنة وزارة المعارف العمومية المؤلفة بالأمر الوزارى فى ٣٠ مايو سنة ١٩١٧ والذى فرغت من وضعه فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٨ طالبة أن ينفذ العمل به من أول ابريل سنة ١٩٢٠ ريثما تأخذ الحكومة العدة لتنفيذه

وهانحن أولاء نتشرف برفع تقريرنا هذا إلى فضيلتكم شاملا لما عن لنا فى الموضوع والله الهادى إلى سواء السبيل .

( ١ ) اللجنة ترحب بمشروع تعميم التعليم الأولى من حيث هو تعميم لتعليم طبقات الأمة بأسرها وتعتبره بدء خير جديد للأمة المصرية فى سائر شؤونها ومصالحها الدينية والدنيوية قال الله تعالى ( قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ) .

( ٢ ) خلاصة المشروع من الوجهة التى تهمنا هو أن يعمل كل مجلس مديرية فى المديريات وكل سلطة معادلة له فى المحافظات على إيجاد مدارس أولية فى كل

---

( * ) نشرنا هذا التقرير إنجازا لما وعدنا به فى الجزء الماضى . وقد قال لنا أحد أعضاء لجنة المشروع : تذكروا أن المشروع وضع فى غير هذا الوقت وانا نسلم بأكثر الانتقاد الذى ورد عليه الخ . صالح رضا !

مدينة وقرية تضم كل سنة عددا من البنين والبنات الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والحادية عشر بنسبة واحد فى المائتين من مجموع السكان وذلك بأن تأخذ ٤٠./. من البنين ٢ ونصف ./. من البنات حتى تكون نتيجة هذه المدارس بعد عشرين سنة تعليم ٨٠./. من مجموع البنين و٥٠ فى المائة من مجموع البنات بالقطر المصرى وذلك يعادل ١٠ فى المائة من مجموع السكان يتلقون فى تلك المدارس دراسة مناسبة وفق منهج خاص تضعه وزارة المعارف العمومية أو تقره يشمل على الأقل تعليم الديانة والقراءة والكتابة والحساب وغير ذلك من المواد التى يعينها وزير المعارف العمومية ( فقره ٤٥ و ٤٧ ومادة ١ و ٢ )[1]

(١) نص الفقرة ٤٥ ( الغرض العاجل من القانون ) يرمى مشروع القانون الذى وضعناه إلى أن ينشأ فى كل مدينة وقرية فى مدة لاتتجاوز عشرين سنة مدارس أولية حسنة البناء جيدة المعلمين يبلغ مجموع تلاميذها ٨٠ فى المائة من أبناء الأمة ومجموع تلميذاتها ٥٠ فى المائة من بناتها ممن تتراوح أعمارهم وأعمارهن بين السادسة والحادية عشرة . وأنا نرى أن هاتين النسبتين هما الحد الحقيقى الذى يجب التعويل عليه فى إعداد مايلزم من الأمكنة إذا راعينا أن عددا من الأطفال سينصرف عن التعليم وأن آخرين سيلحقون بالمدارس الابتدائية وغيرها وراعينا العادة التى لا تزال مسيطرة على قسم كبير من الأمة وهى قلة الرغبة فى تعليم البنات وتحرير المرأة من قيود الجهل وأغلال الأمية

والفقرة ٤٧ ( نسبة تلاميذ المدارس الأولية بالبلاد الغربية ) و إذا قدرنا نسبة التلاميذ المصريين الذين يجب تعليمهم بالمدارس الأولية ممن تتراوح أعمارهم بين السادسة والحادية عشرة بثمانين فى المائة من مجموعهم ونسبة التلميذات اللاتى من هذه الأعمار بخمسين فى المائة من مجموعهن فان مجموع ذلك يعادل ١٠ فى المائة من مجموع سكان القطر . أى إن بلوغ هذه الغاية يرفع درجة التعليم فى مصر إلى درجة إيطالية وأسبانية و بلغارية وفنلندة و بلاد اليونان =

= ونص المادة الاولى ( تعريفات ) العبارات الآتية يقصد بها في هذا القانون ما يلي :

( ا ) المدرسة الأولية معهد تلقى فيه دراسة مناسبة لأبناء المصريين بين السادسة والحادية عشرة من عمرهم . ويكون التعليم فيها باللغة العربية فقط وفق منهج خاص تعينه وزارة المعارف العمومية أو تقره يشمل على الأقل تعليم الديانة والقراءة والكتابة والحساب وغير ذلك من المواد التي تعينها وزارة المعارف العمومية

( ب ) « السلطات المعادلة لمجالس المديريات » هي السلطات التي يخولها هذا القانون أو أي قانون يليه أن تتولى في المحافظات ما تتولاه مجالس المديريات من شئون التعليم الاولى في المديريات

( ج ) « المدارس الأولية الأهلية » هي المدارس الأولية التي لا تديرها مصالح الحكومة ولا مجالس المديريات أو السلطات المعادلة لها

(د) المدارس الأولية الأهلية المعترف بها » هي المدارس الأولية الأهلية التي ترى وزارة المعارف العمومية أنها قد أدركت الغرض المقصود من هذا القانون من حيث أمكنتها ومعداتها والقائمون بالتعليم فيها وأدارتها العمومية

(ه) « السلطة البلدية » كل مجلس بلدى أو مختلط أو محلى أو قروى أو أى سلطة منتخبة من هذا القبيل تخول حق إدارة الشئون المحلية باحدى المدن أو القرى

( و ) « السنة » هي السنة المالية المتفق عليها في الحكومة المصرية

ونص المادة الثانية ( انشاء المدارس الأولية ) يجب على كل مجلس مديرية ( في المديريات ) وكل سلطة أو سلطات تعادل ( في المحافظات ) أن يوجد كل سنة من المدارس الأولية المناسبة ما يكفي لنصف في المائة (أي لواحد في كل مائتين) على الأقل من مجموع السكان الذين في دائرته باعتبار كل مدينة أو قرية وحدة قائمة بذاتها ، لها ما يخصها من المدارس بنسبة عدد سكانها

وينتفي هذا الوجوب فيما يختص بأي مدينة أو قرية متى أصبح بها من المدارس الأولية المناسبة ما يكفي لعشرة في المائة من عدد سكانها . ومع ذلك يجوز لمجالس المديريات والسلطات المعادلة لها أن تستمر في إيجاد معاهد جديدة =

## تأثير المشروع من الوجهة الدينية

إن تعليم القرآن للأطفال والعمل على حفظهم له فى هذه السن (من سن ست سنوات إلى إحدى عشر سنة) أمر جرت عليه الشعوب الإسلامية منذ التاريخ الاسلامى لاسيما الشعوب العربية وخاصة منها القطر المصرى حتى قال ابن خلدون فى الفصل ٣٢ الذى كتبه فى هذا الموضوع «أعلم أن تعليم الولدان للقرآن صار شعارا من شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن و بعض متون

= للتعليم بعد بلوغ هذا الحد فى الجهات التى تتطلب أحوالها ذلك

وجميع المدارس الأولية التى تديرها مجالس المديريات أو السلطات المعادلة لها فى وقت صدور هذا القانون وكذلك المدارس الأهلية التى يعترف بها فيما بعد يمكن اعتبارها وافية بما تتطلبه هذه المادة من انشاء المدارس وافتتاحها إذا أقرتها وزارة المعارف العمومية · ولكن لايجوز اعتبارها كذلك إلا عن السنين الأخيرة من السنين المقررة لانفاذ هذا القانون

وتقرر وزارة المعارف العمومية عدد ماتسعه كل مدرسة أولية من التلاميذ .

ولا يتحتم على مجالس المديريات أو السلطات المعادلة لها أن تنشىء مدرسة فى جهة ما أو توسع فى بنائها إلا إذا كان عدد التلاميذ الذين يراد إيجاد محال لهم على النسبة الموضحه فى الفقرة الأولى من هذه المادة قد بلغ ١٥٠ تلميذا فى المدن التى يزيد عدد سكانها على ٨٠٠٠ نفس أو ٧٥ تلميذا فى البلدان التى يتراوح عدد سكانها بين ٤٠٠٠ و ٨٠٠٠ نفس . أو ٤٠ تلميذا فى البلدان والقرى التى يقل عدد سكانها عن ٤٠٠٠ نفس

وكذلك لا يحتم على مجالس المديريات أو السلطات المعادلة لها أن تنشىء مدرسة أولية فى جهة ما أو توسع فى بنائها مادام بمدارسها الأولية الجامعة للشروط المطلوبة من المحال مايزيد كثيرا على مبلغ إقبال الأهالى فى تلك الجهة على التعليم ويكون البت فى ذلك لوزارة المعارف العمومية

الحديث وصار القرآن أصل التعليم الذى ينبنى عليه مايحصل بعد من الملكات، ومعلوم أن الولدان هم أبناء هذه السن التى يقضى المشروع بالاستيلاء عليهم فيها ويكون القضاء على حفظ القرآن فيها . ولاندرى كيف غاب ذلك عن لجنة الوزارة وهى بنفسها تقول فى تقريرها المرفق بالمشروع ( فقرة ٥٩ ) عن المستر لكى فى كتابه الديمقراطية والحرية ج ٢ ص ٦٢ «والقاعدة الوحيدة التى يعول عليها أن يحمل الشارعون نصب أعينهم رغبات الأمة وميولها كيفما تنوعت أشكالها وأن يسعوا إلى تحقيقها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا » [1]

بل رمى أحد الأعضاء بهذا العنوان كما جاء فى التقرير ( فقرة ٨٣ ) [2] إلى أبعد من ذلك حيث لفت أنظار اللجنة قائلا: إن الاعفاء من الخدمة العسكرية لحفظ القرآن القاضى به قانون القرعة الصادر فى سنة ١٩٠٢ عقبة فى سبيل التعليم الأولى . ونحن

(١) نص هذه الفقرة ٥٩ (الصعوبات الدينية) لاتكاد توجد مملكة من الممالك إلا كان نمو التعليم الأولى فيها مصحوبا بعقبات ناشئة من صعوبة التوفيق بين الآراء المتضاربة فيما يشأن التعليم الدينى . ولقد كانت هذه المسألة دائما منبع جدال طويل وربما جاز القول بأنها لم توفق مملكة من الممالك إلى حلها حلا مرضيا من جميع الوجوه . ثم عبارة المستر « لكى » المذكور أعلاه

(٢) نص الفقرة ٨٣ (تأثير قانون القرعة) لفت أحد الأعضاء المسلمين نظر اللجنة إلى العراقيل التى يضعها قانون القرعة الصادر فى سنة ١٩٠٢ فى سبيل وضع نظام واف للتعليم الأولى لأن الفقرة السادسة والعشرين منه تعفى من الخدمة العسكرية حفظة القرآن الكريم إذا لم تكن لهم مهنة أخرى . ولما كان المصريون ينفرون أشد النفور من الخدمة العسكرية كان معظم الأهلين شديدى الرغبة فى العمل على إعفاء أبنائهم منها وكانت الوسيلة الوحيدة لذلك عند الفقراء منهم أن يعدوا أبناءهم ليكونوا حفظة وأن يبعثوهم إلى الكتاتيب الأهلية لقضاء جميع أوقاتهم فى حفظ القرآن بدلا من إرسالهم إلى المكاتب المنتظمة حيث يتعلمون تعليما دنيويا مع تلقى المقدار الكافى من التعليم الدينى ، أما مايشترطه هذا القانون من تقدم

مع دهشتنا من هذا الحكم لبعد المسافة مابين سن القرعة وسن المشروع نعجب من موافقة اللجنة باجماع عليه حتى قالت بالفقرة ٨٧ « إن نجاح هذا المشروع أو أى مشروع آخر يرمى إلى ترقية التعليم الأولى يتوقف على إزالة هـذا العائق الذى يصرف الناس عن الاهتمام بالتعليم الأولى[1]

(٤) من حيث أن المشروع يقضى باستيلاء وزارة المعارف تدريجيا مع الهيئات الإدارية التى تشاركها على ٨٠ فى المائة على الأقل من أبناء المسلمين من سن ست سنوات إلى إحدى عشرة سنة فهو يقضى على المعاهد الدينية من أساسها لأن ينبوع المعاهد هو تلك المكاتب الأهلية التى تقوم بتعليم القرآن الكريم

= الاشتغال بمهنة أخرى فلا فائدة منه لأن المفترعين لا يلتفت إليهم بعد إعفائهم ولا تعرف الحكومة شيئا مما يزاولونه من الأعمال. وقد قيل لنا إن الأحداث الذين يذهبون إلى هذه المكاتب لا لشىء سوى حفظ القرآن وتضييع أوقاتهم بها إلى السادسة عشرة أو السابعة عشرة يربو عددهم كثيرا على من ينتظر أن يشتغلوا بشىء من الأعمال الدينية أو يلحقوا بأحد معاهدها. على أن الأزهر الشريف ومدرسة القضاء الشرعى لا يشترطان على راغبي الالحاق بهما أن يحفظا من القرآن أكثر من نصفه. وقد بلغنا أن حكومة تركيه وهى حكومة إسلامية لا تعفى أحدا من الخدمة العسكرية لحفظ القرآن

(١) عنوان الفقرة ٨٧ ( إزالة هذا العائق ) وتتمتها « الوافى بالغرض. وذلك يتم بأحد أمرين. إما بالسير على النهج المرسوم فى مشروع القانون الذى ارتضاه صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية فى سنة ١٩٠٥ و إما باتباع طريقة أخرى تقرها هيئة رجال الدين الإسلامى. ونود لو وضعت الآن قاعدة عامة تقضى بعدم إعفاء أحد بعد مضى زمن طويل من الآن ( أى بعد سنة ١٩٣٠ مثلا) من الخدمة العسكرية لسبب من الأسباب (سواء أكان دينيا أم صناعيا أم تعليميا أم غير ذلك) إلا إذا كان طالب الاعفاء قد أتم المقرر الدراسى للمدارس الأولية أو الابتدائية فان ذلك يساعد نشر التعليم الأولى مساعدة عظيمة »

وحفظه ولا يمكن لقانون الازهر والمعاهد الدينية أن يتخلى عن شرط حفظ القرآن لأنه شرط ضرورى لمن ينتسب للمعاهد الدينية و يتلقى علوم الدين التى تستمد كلها من القرآن كما يقضى ذلك المشروع أيضا على جميع الوظائف الشرعية التى يشترط فى مبدئها حفظ القرآن الكريم وما جاء فى ( الفقرة ٩٠ )[1] من تقرير لجنة الوزارة « أن من يرغب من النشأ فى الانتظام فى تلك المعاهد الدينية فلديهم متسع من الوقت بعد إتمام مقرر المدارس الأولية ( أى بعد السنة الحادية عشرة إن فرض نجاحه فيها ) للوصول إلى غرضهم هذا بالتعلم فى مدارس إعدادية يشرف عليها رجال الدين » غير كاف فى الاجابة ولا مذلل لتلك العقبة التى يضعها المشروع فى سبيل المعاهد الدينية لوجوه

(ا) المدارس الاعدادية التى تحيل عليها لجنة الوزارة هى شىء لا فى عالم الوجود ولا فى عالم المشروعات فضلا عن كون تعميمها فى جميع المدن والقرى حتى تقوم بحاجة البلاد من تخريج القدر الكافى لطلاب المعاهد الدينية ومن وجود الحفاظ بها أمر لا يكاد يكون ممكنا ولا يبلغ درجة انتشار المكاتب الأهلية الحالية التى تقوم بذلك الآن

(ب) إذا فرض أن التلميذ الذى يريد الانتظام فى سلك المعاهد الدينية لم يساعده الحظ ورسب فى بعض امتحاناته السنوية بتلك المدارس الأولية ثم التحق بالمدارس الاعدادية المذكورة ليتمكن من الالتحاق بالمعاهد الدينية فكم يكون قد بلغ من السن عند الخروج منها ؟ وهل يسمح له الحظ دائما من التمكن من تتميم الدراستين بالمدارس الأولية والمدارس الاعدادية قبل فوات السن المحدودة

---

(١) ونص الفقرة ٩٠ ( المدارس الاعدادية ) أما من يرغب من النشء فى الانتظام فى سلك المعاهد الدينية أو فى أن يكونوا من حملة القرآن الكريم فلديهم متسع من الوقت بعد إتمام مقرر المدارس الأولية للوصول إلى غرضهم هذا بالتعلم فى مدارس إعدادية يشرف عليها رجال الدين . ونرى أن تمنح الحكومة ما يكون جامعا لشروط الجدارة من هذه المدارس إعانة مالية

الدخول فى المعاهد الدينية أو يحال بينه وبينها ؟ ثم إذا صح أنه تمكن من الدخول فى المعاهد فى آخر سنة يسوغ القانون الدخول فيها للطالب والمعاهد الدينية أقل مدة التعليم فيها خمس عشرة سنة فلا ينتهى الطالب من دور التعليم إلا وهو فى طريق الكهولة وهذا ما لا يرتضاه رجال الاصلاح .

(ج) باعتبار أن آخر سنة للتلميذ فى هذه المدارس الأولية هى السنة الحادية عشرة من عمره إذا فرض نجاحه فيها وأنه يحتاج إلى مدة أخرى يقضيها فى حفظ القرآن ليتمكن من الانتظام فى المعاهد الدينية يكون المشرع قد حاف حيفا ظاهراً على قانون المعاهد فى تضييق دائرة من ينتسبون اليه بعد أن كانت من سن عشر سنوات إلى سبع عشرة سنة (مادة ٦١) من قانون الأزهر وحال بين الآباء و بين اعدادهم أبناءهم للتعلم فى باكورة شبابهم بالمعاهد الدينية وقد دل البيان الرسمى بدفاتر الانتساب بالقسم الأولى من المعاهد الدينية على أن الذين ينتسبون بالسنة الأولى يوجد بينهم عدد كبير من أبناء الإحدى عشرة سنة والاثنتى عشرة سنة

(د) إن وجود الحرية التامة التى يتمتع بها الآباء الآن فى تعليم أبنائهم القرآن الكريم فى هذه السن (من ستة إلى إحدى عشرة) هو الوسيلة الوحيدة فى التمهيد للانتظام بالمعاهد الدينية و بعبارة أخرى لحياة المعاهد الدينية والوسيلة فى صيانة حفظ القرآن بين الأمة لأن الحفظ بعد هذه السن يكاد يكون مستحيلا والمثل الشهير فى ذلك عند الشعب (الحفظ فى الصغر كالنقش فى الحجر)

(ه) إن وجود حملة للقرآن الكريم مستظهرين له أمر ضرورى اقتضته الشريعة الغراء على سبيل فرض الكفاية فى كل أمة لاسيما فى مصر (التى تعتبر لمركزها الدينى ووجود الأزهر فيها كعبة لسائر الشعوب الاسلامية) ليقوموا بفريضة كيفية الأداء والتجويد للقرآن واتقان رواياته وأحكامه ومعرفة رسمه وليحفظوه على الأمة و ينقلوه بطريق التواتر من جيل إلى جيل .

فضلا عن أن من خصائص أولئك الحفاظ أيضا ما جرت به العادة فى منتديات المسلمين ومجتمعاتهم العامة والخاصة من تلاوة آيات الكتاب الحكيم عند اقتضاء الظروف والعادات القومية ليعظوا النفوس ويذكروا الأمة بكتابها المقدس الكريم

وما فيه من هدى وإرشاد وحث على مكارم الأخلاق ولا يتأتى للأمة المصرية القيام بالفريضة المذكورة والمحافظة على تلك العادة القومية الاسلامية ما لم تبق الوسيلة التي تمكن الأبناء من حفظ القرآن في أول تعليمهم وعهد مرونتهم .

(٦) توجد بالقطر المصري أوقاف جمة مرصودة على تعليم القرآن الكريم للاطفال بطريق الحفظ له غيبا (وتفتيش الوادي مشهور ) وتقضي أوامر الشريعة الغراء باحترام شروط الواقفين حتى قال العلماء «شرط الواقف كنص الشارع» فلا بد من تنفيذ هذه الأوقاف على الوجه المنصوص بها، ولا يجوز بحال أن يصرف ريع تلك الأوقاف في غير هذا النوع من التعليم ، والمشروع باستيلائه على ٨٠ في المائة من البنين يقضي بتعطيل تلك الأوقاف وصرفها في غير مارصدت له و بعبارة أخرى يقضي بتعطيل أوامر الشريعة الغراء في تنفيذ هذه الأوقاف في سبيلها ، بل يصرف الناس عن مثل هذا العمل البار (الوقف على التعليم) الذي قام بنهضة كبرى في سبيل التعليم الأولى بمصر وقد اعترفت لجنة الوزارة في (الفقرة ٢٥)[1] أن أقوى

---

(١) عنوان الفقرة ٢٥ «الحكومة وتعليم الاطفال» ونصها : من الاقوال المأثورة عن نابليون «إن التعليم يجب أن يكون أول اغراض الحكومة » ولقد أصبح معظم الحكومات المتمدينة في الوقت الحاضر يعتبر تعليم الاطفال من أعظم واجباته وقد وصل تعليم طبقات الشعب في البلاد الأوربية إلى ماهو عليه الآن بفضل أربع حركات كبيرة وهي :

(أولا) غيرة الطوائف الدينية على نشر مذاهبها وتوطيد أركانها بتعليم الاحداث

(ثانيا) قيام مذهب الانسانيين ( Humananitarianism ) الذي يرمي إلى وقاية الاحداث من العمال .

(ثالثا) قيام الديمقراطية لأنها خولت جما غفيرا من الشعب حق الاشتراك في أعمال الحكومة فاستدعى ذلك تعليم الأطفال لأن منهم ينبغ كبار أعضاء مجالس النواب

(رابعا) الحركة الصناعية فانها أقنعت الامم بأن انتشار التعليم بين جميع الطبقات – ولو اقتصر على مايتناوله التعليم الاولى – يزيد في مقدرة العمال

وقد كان أقوى البواعث على تعليم الشعب بمصر إلى وقتنا هذا على النمط الحالي بواعث دينية ولكن تقدم البلاد من الوجهات الصناعية والسياسية والادبية والاجتماعية سيوجد بواعث قوية جديدة يزيد عظم شأنها على مر الأيام، ولا يمكن غض الطرف عنها ولا التسويف فيما توحي به من الجد والعمل .

البواعث على تعليم الشعب المصرى إلى وقتنا هى البواعث الدينيـة وإذن يحسن بالمشروع المذكور أن يكون أساسه الذى يتضد به هى تلك البواعث ليكون أنجح له فى سبيله لأن يقاومها ويقضى عليها : وترى اللجنة أن إيجاب حفظ القرآن الـكريم فى تلك المدارس وجعله أساسا فيها ( نظراً لشدة تعلق الشعب المصرى بمبادئه الدينية ) هو أقرب وسيلة لترغيب الأمة فى تلك المدارس التى ستعانى الحكومة فى الترغيب فيها الصعوبات الجمة .    ( يتلى )

# خلاصة معاهدة الصلح[1]

٥

## الفصل الثانى عشر — فى المواصلات

الموانى وطرق الملاحة وسكك الحديد — يطلب من ألمانية أن تمنح حرية الانتقال والنقل للاشخاص والبضائع والسفن ومركبات سكك الحديد الخ التى تأتى من بلاد الحلفاء والدول المشتركة معهم أو تذهب اليها مارة بأرض ألمانية وان تعاملها كما لو كانت ألمانية صرفة والبضائع التى تمر بألمانية ( ترنسيت ) تعفى من الرسوم الجركية ، وتكون أجرة النقل معتدلة ولا تتوقف على تسهيلات أو دفع رسوم ما على نوع الراية التى تخفق على السفن سواء كان ذلك مباشرة أو بواسطة . ووضعت تدابير تمنع التمييز بين دولة وأخرى بمراقبة البضائع المنقولة وكل تمييز ممنوع على الاطلاق ويعجل فى نقل البضائع الدولية وخصوصا ماكان منها قابل التلف ويحافظ على المناطق الحرة فى الموانىء الالمانية وتقدم التسهيلات اللازمة لمطالب التجارة بلا تمييز فى الجنسية . ولكن يسمح بفرض رسوم معينة قليلة فى موانىء نهر الإلب الحرة .

وتحسب جميع الأنهر من مقر نهر فلتاوا وملتقى نهرى مولد رفلتاوا تحت براغ ، نهر لاودر من ملتقاه بنهر الاوبا ونهر النيمن تحت جرودنو والدانوب تحت الم — هذه كلها تحسب أنهراً دولية هى وروافدها الواقعة ضمن هذه المنطقة ، وتعامل أملاك جميع الدول واعلامها مثل معاملة رعايا البلاد الواقعة على ضفاف تلك الأنهر وأملاكها

(١) تابع لما نشر فى الجزء السادس

وسائر مايخصها . وقد اتخذت تدابير مختلفة لتأمين التسهيلات ودفع أجور معتدلة والملاحة باشراف جمعية الأمم واللجان الدولية وهذه اللجان تعقد في مستقبل قريب لوضع مشروعات بتنقيح المعاهدات الحاضرة التي يراد بقاؤها نافذة المفعول وقتيا. و يطلب من المانية أن تسلم جزءاً من سفنها النهرية ورفاصاتها والمهمات الأخرى بعد ثلاثة أشهر من إعلانها بذلك

أما من جهة الدانوب فان اللجنة القديمة تعاد اليها السلطة التي كانت لها قبل الحرب ولكن لا تمثل فيها الا بريطانية العظمى وفرنسة وايطالية ورومانية . وأما المنطقة الخارجة عن اختصاص اللجنة فتعين لها لجنة دولية لادارة أمور الدانوب الاعلى كله الى ان يتوصل الى تسوية المسائل تسوية نهائية. ونص على حفر قنال بين الدانوب والرين اذا قر الرأي على حفرها في مدة ٢٥ سنة . ووضعت مواد خاصة بنهري الرين والموزل وتبقى معاهدة ١٨٦٨ نافذة المفعول اجمالا مع بعض تعديلات مهمة . ويكون مقر اللجنة المركزية ستراسبرج وتعين فرنسة رئيسها . ولما كانت هولندة من جملة الدول الموقعة لهذه المعاهدة فان التعديلات المشار اليها تعرض عليها وتسلم ألمانية إلى فرنسة بعد ثلاثة أشهر جزءا من رفاصات موانىء الرين وسفنها أو اسهما من أسهم شركات الملاحة فيه وكذلك جزءا من الابنية والرفاصات وما أشبه ذلك مما كان للالمان في ميناء روتردام في ١ أغسطس سنة ١٩١٤ أو أسهما من أسهم شركاتها فيه ، ويكون لفرنسة الحق التام على حدودها في استخدام ماء الرين للترع وماشاكل ذلك وعمل الاعمال اللازمة لاستخدام مائه في ادارة حركة الآلات بشرط أن تدفع مالا معينا و بشرط موافقة اللجنة

وتتكفل ألمانية بأن لا تحفر ترعاً على ضفة النهر اليمنى المتاوحة للحدود الفرنسوية و بأن تمنح فرنسة بعض الامتيازات على ضفته اليمنى لبناء بعض المباني الهندسية مقابل دفع تعويض ، ويجوز لسويسرة مثل هذا في أعالي النهر . واذا استقر رأي البلجيك في خلال ٢٥ سنة على حفر ترعة بين الرين والموزل وجب على الحكومة الالمانية ان تحفر ما وقع منها في ارضها طبقا للتصميمات التي تضعها الحكومة البلجيكية وتوزع النفقة على الحكومات المختلفة المختصة . ولا يجوز لالمانية ان تعارض اللجنة فيما إذا شاءت ان توسع دائرة اختصاصها بحيث تشمل نهر الموزل الاسفل بموافقة حكومة

لكسمبرج والرين الأعلى بموافقة حكومة سويسرة والترع الجانبية التى يراد حفرها لتحسين الملاحة . ويجب على الحكومة الألمانية أن تؤجر جمهورية التشك والسلوفك مدة ٩٩ سنة أماكن فى مينائى همبرج وستتن تكون مناطق حرة

سكك الحديد — نصت المواد الخاصة بسكك الحديد على أن البضائع التى ترسل بين بلدان الحلفاء وألمانية أو بطريق ألمانية لها الحق فى أعظم المراعاة وبحثت فى بعض رسوم سكك الحديد فقالت إنه إذا وضع اتفاق جديد لسكك الحديد بدلا من اتفاق برن المعقود سنة ١٨٩٠ وجب على ألمانية أن تعمل به وقبل وضعه تعمل باتفاق برن . وتشترك فى تسيير قطرات الركاب والبضائع بين بلاد الحلفاء بطريقها وبشروط موافقة وتسير قطرات للمهاجرين أيضا وتجهز مركبات سكك الحديد بآلات تمكنها من الاندماج فى قطرات البضائع التى للحلفاء من غير تغيير نظام السينسات ويفعل الحلفاء مثلها . ونصت أيضا على تسليم أنظمة الخطوط فى الأراضى المنتقلة وتسليم مقدار معتدل من المركبات لاستعمالها فيها ويعهد إلى لجان خاصة فى تشغيل الخطوط التى تصل ما بين قسمين من بلاد واحدة وتجتاز فى طريقها بلاداً أخرى أو الخطوط الفرعية التى تمر من بلاد إلى أخرى وإذا لم تكن هناك اتفاقات خاصة فعلى ألمانية أن تسمح بمد مثل هذه الخطوط أو إصلاحها حسب الاقتضاء لتكون هناك خطوط منتظمة بين كل بلد من بلاد الحلفاء والآخر هذا إذا طلب ذلك منها فى خلال ٢٥ سنة بموافقة جمعية الأمم والدول المتحالفة تدفع النفقات

توافق ألمانية بطلب حكومة سويسرة والحكومة الايطالية على نقض معاهدة ١٩٠٩ الخاصة بطريق نفق سان غوتر . ويوضع بدلا منها اتفاق ومتى تنفذ ألمانية بموجبه تعليمات تصدر باسم الحلفاء من حيث نقل الجنود والمهمات والذخيرة وما أشبه ذلك ونقل المؤنة إلى بعض الجهات وإعادة وسائل النقل العادية وخطوط البوسنة والتلغراف

توافق ألمانية على الانتظام فى كل اتفاق عام يعقد على أمور النقل وطرق الملاحة والموانىء وسكك الحديد الدولية بموافقة جمعية الأمم فى مدة خمس سنوات من عقده . ويعهد فى تسوية كل خلاف إلى جمعية الأمم . أما بعض المواد الخاصة كالمواد التى تنص على المعاملة المتساوية فى مسائل مرور البضائع ونقلها فهى عرضة

لتنقيح جمعية الأمم لها فى خلال خمس سنوات . و إذا لم تنقح فانما تنفذ على كل دولة من الدول المتحالفة التى تسمح بمعاملة متبادلة

قنال كيال ـ تكون قنال كيال حرة ومفتوحة أمام البوارج والبواخر التى لجميع الأمم إذا كانت فى حالة سلم مع ألمانية وتعامل رعايا جميع البلدان و بضائعها وسفنها بالمساواة من حيث استخدام القنال ولا تؤخذ رسوم ما إلا الرسوم اللازمة لحفظ القنال و إصلاحها و يعهد فى هذا إلى ألمانية و إذا نقضت هذه الشروط أو جرى خلاف عليها فللدول المختصة أن ترفع المسئلة إلى جمعية الأمم وتطلب تعين لجنة مختلطة

الفصل الثالث عشر — فى العمل والعمال

الاتفاق الخاص بالعمل والعمال ـ ينص هذا الاتفاق (أولا) على عقد مؤتمر دولى كل سنة لعرض اصلاحات فى أمر العمل والعمال توافق عليها الدول التى تتألف جمعية الأمم منها و(ثانيا) على إنشاء هيئة إدارة تنفيذية تعد مذكرات للمؤتمر و إنشاء مكتب دولى للعمال لجمع المعلومات والتقارير وتوزيعها و يكون رئيس هذا المكتب مسئولا أمام الهيئة الإدارية و (ثالثا) على أن يكون المؤتمر السنوى مؤلفا من أربعة مندو بين عن كل حكومة اثنين عن الحكومة نفسها وواحد عن أرباب الأعمال وواحد عن العمال ولكل مندوب ان يعطى صوته مستقلا . والمؤتمر أن يوافق بأكثرية ثلثى أعضائه على الاقتراحات أو صور الاتفاقات الخاصة بمسائل العمل والعمال . ومتى تمت الموافقة عليها تعرضها الحكومات صاحبة الشأن على الدوائر المختصة لسن قوانين بها أو ما أشبه ذلك فاذا وافقت عليها هذه الدوائر المختصة وجب على الحكومات صاحبة الشأن أن توقعها وتنفذها فاذا أهملت حكومة من الحكومات هذه الواجبات فللهيئة الادارية المذكورة أن تعين لجنة تحقيق تحكم بما ترى وللجمعية الامم ان تتخذ تدابير اقتصادية ضد الدولة المخالفة . و(رابعا) على اتخاذ تدابير خاصة لمنع كل خلاف يقع مع دستور الولايات المتحدة أوغيرها من الدول التى فى حكمها . و(خامسا) على البلاد التى هواؤها وأحوالها الصناعية المتأخرة وغير ذلك من أحوالها الخاصة تجعل أحوال العمل والعمال فيها مختلفة اختلافا جوهريا عن أحوال غيرها . وعلى المؤتمر فى أحوال مثل هذه أن يراعى هذا الاختلاف عند وضع أى معاهدة وقد ألحق بهذا

الاتفاق بروتوكول بأن يعقد الاجتماع الأول فى وشنطن فى السنة الجارية وبتعيين لجنة دولية لهذا الغرض . وفيه أيضا جدول للبحث فى موضوعات الاجتماع الأول ومن جملتها مبدأ جعل ساعات العمل ثمانيا فى اليوم ومسألة العمال العاطلين واستخدام النساء والأولاد فى الصناعات الخطرة خصوصا

وألحق بالجزء الخاص باتفاق العمال عهداً من الدول الموقعة على هذه المعاهدة بشأن تنظيم أحوال العمل ومبادئه التى يجب على جميع البلدان الصناعية أن تسعى فى تطبيقها عليها بقدر ماتسمح به ظروفها الخاصة بها . ويبين هذه : أن لا يحسب العمال مجرد سلعة . حق أصحاب الأعمال والعمال فى الاتحاد على كل عمل مشروع أن يدفع إلى العمال أجور توافق أحوال المعيشة فى زمانهم ومكانهم . جعل ساعات العمل ثمانيا فى اليوم أو ثمانيا وأربعين فى الأسبوع حيث لم يعمل بذلك حتى الآن . جعل ساعات الراحة فى الأسبوع أربعاً وعشرين على القليل وفى جملتها الأحد حيث يمكن ذلك . إلغاء تشغيل الأولاد وحصر تشغيل الأحداث بحيث يسمح لهم بالاستمرار على الدرس والرياضة اللازمة . جعل أجرة الرجال والنساء متساوية حيث العمل متساو . أن يراعى فى شروط العمل القانونية فى كل بلاد معاملة جميع العمال الذين فيها معاملة اقتصادية عادلة . أن تضع كل بلاد نظاماً للتفتيش يقصد به حماية العمال وتشترك فيه النساء .

الفصل الرابع عشر — الضمانات

غرب أوربة — ضمانا لتنفيذ المعاهدة تحتل جنود الحلفاء والدول المشاركة لهم البلاد الألمانية الواقعة غربى نهر الرين ورؤس الكبارى مدة خمس عشرة سنة . فاذا نفذت ألمانية شروط الصلح بصدق وإخلاص انجلت جنود الحلفاء عن بعض البقاع وفى جملتها رأس الكبرى الذى عند كولونيا بعد مضى خمس سنوات . تنجلى عن بقاع أخرى ومن ضمنها رأس الكبرى فى كلبنز بعد عشر سنوات وعن الباقى وفى جملته رأس الكبرى عند مايتز بعد ١٥ سنة و إذا رأت لجنة التعويض الدولية أن ألمانية قصرت فى إنجاز عهودها كلها أو بعضها مدة الاحتلال أو بعد مضى الخمس

عشر سنة عادت جنود الحلفاء فاحتلت حالا تلك البقاع كلها أو بعضها . وإذا أنجزت ألمانية جميع عهودها الخاصة بالمعاهدة الحالية قبل مضى الخمس عشرة سنة فان الجنود المحتلة تجلو عن أرضها حالا .

شرق أوربة -- وكذلك تعود جميع الجنود الألمانية الموجودة الآن شرق الحدود الجديدة حالما يرى الحلفاء أن الساعة ملائمة لذلك . ويجب عليها أن تمتنع عن كل مصادرة وما أشبهها وأن لاتتعرض لتدبير من التدابير الدفاعية التي تتخذها الحكومات الوقتية المختصه

احتلال الأراضى - كل مسألة خاصة باحتلال الأراضى لا تنص عليها هذه المعاهدة تسوى بموجب معاهدات تعقدنها بعد ويكون لها مفعول هذه المعاهدة وتأثيرها

الفصل الخامس عشر - شتى

شتى - تعترف ألمانية بصحة معاهدة الصلح والاتفاقات الاضافية التي تعقدها دول الحلفاء والدول المشتركة معها مع الدول حليفات ألمانية وتوافق على القرارات الخاصة بأراضى النمسة والمجر وبلغاريا وتركيا وتعترف بالدول الجديدة ضمن الحدود التي تعينها الدول الموقعة على هذه المعاهدة

وتوافق الدول على أن رؤساء اللجان يكون صوتهم بعض الأحيان فاصلا في المسائل التي تتساوى الأصوات فيها . أما أعمال المرسلين الالمان في الأراضى التي ستنتقل إلى أيدى الحلفاء فتستمر تحت إشراف أمناء تعينهم الدول التي تنتقل تلك الأراضى اليها . وهناك مادة تتعهد ألمانيه فيها بأن لا تطالب دولة من دول الحلفاء الموقعة لهذه المعاهدة بمال بناء على حوادث سبقت العمل بهذه المعاهدة وتقبل جميع الاحكام التي تصدرها محاكم الغنائم التي للحلفاء بشأن السفن أو البضائع الألمانية او يحفظ الحلفاء لانفسهم حق النظر فى الأحكام التي أصدرتها محاكم الغنائم الالمانيه

وقد حررت هذه المعاهدة بالفرنسوية والانكليزية وسيصادق عليها وتودع فى باريس بأسرع مايمكن ؟ ويلى ذلك نصوص مختلفة بشأن المصادقة يسرى مفعول هذه المعاهدة على كل دولة من تاريخ مصادقتها عليها

انتهت معاهدة ( فرسايل )

# الرحلة السورية الثانية

## تمهيد

هاجر صاحب هذه المجلة من الديار السورية إلى الديار المصرية فى شهر رجب سنة ١٣١٥ عقب انتهائه من طلب العلم فى طرابلس الشام وأخذه شهادة التدريس (العالمية) لأجل القيام بعمل إصلاحى للاسلام والشرق، لامجال له فى بلد إسلامى عربى غير مصر، والاستعانة عليه بصحبة الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) والاقتباس من علمه وحكمته، والوقوف على نتائج اختباره وسياحته، وعمله مع حكيم الشرق وموقظه من رقدته (السيد جمال الدين الأفغانى) قدس الله أرواحهما.

وكنت قبل ذلك أمنّي نفسى بالالتحاق بالسيد الحكيم ولزامه، ومرافقته فى ترحاله ومقامه، فلما توفاه الله تعالى اليه نضيت عنى رداء التمنى والتوانى، وقلت لئن فاتنى لقاء المعلم الأول فلن يفوتنى لقاء الثانى [1] وأنشأت (المنار) فى أواخر تلك السنة ولم أكن أنوى أن أشتغل بالسياسة ولا بالاصلاح من طريقها بل بالإصلاح الفكرى والنفسى والاجتماعى، ولكن السياسة السوءى عدوة الاصلاح ترى بقاءها بفقده. وحياتها بموته، فهى لاتترك القائم به إذا هو تركها وقد كان دعانى عبد القادر أفندى القبانى صاحب جريدة (ثمرات الفنون) — إذ كاشفته فى بيروت بعزمى على السفر الى مصر وإنشاء صحيفة إصلاحية فيها — إلى رياسة التحرير لجريدته فقلت له ليس فى البلاد حرية تمكننى من ذلك. قال اترك الطعن فى السلطان واكتب فى الأخلاق والآداب ماتشاء فلا تجد مانعا ولا معارضا، قلت أرأيت إذا بحثت فى الكذب الذى هو شر الشرور على الإطلاق وبينت أن أكبر أسباب نشوه وانتشاره هو الاستبداد المانع من قول الصدق، والمعاقب على التزام الحق، أيمكننى أن أنشر هذا فى الجريدة وأكون آمنا من عقاب الحكومة؟ قال كلا إن أمثال هذه المباحث

(١) أطلق لقب المعلم الأول عند المشتغلين بالحكمة العربية اليونانية على الحكيم أرسطو، والمعلم الثانى على الرئيس ابن سينا.

لا يمكن نشرها في غير مصر ، فعجل بالسفر ولا تخبر بعزمك أحدا لئلا يصل الخبر إلى الوالي فيمنعك منه

صادرت حكومة سورية العدد الثاني من المنار بعد توزيعه ؛ لمقالة فيها عنوانها ( القول الفصل في سعادة الأمة ) ليس فيها ذكر لحكومتها ولا لغيرها من الحكومات بسوء ، ثم صدرت إرادة السلطان عبد الحميد بمنع المنار من دخول مملكته في الشهر السادس من عمره وتلا ذلك اضطهاد والدي و إخوتي لأجلي بعد خيبة سعي السياسة لإخراجي من مصر وعرض ما أحب من المناصب والوظائف العلمية وغيرها في ديار الشام أو غيرها ، و بذلك حرمت من زيارة وطني إلى أن أعلن الدستور سنة ١٣٢٧ فزرته عقب إعلانه إذ كانت البلاد ترقص به طربا والناس يحتفلون فيها لاظهار سرورهم بالخطب والأناشيد ، ويحتفون بمن يعود اليهم من المهاجرين المجاهدين ، والأحرار المنفيين وأشباه المنفيين ، و يتحاورون و يتناجون بما يجول في خواطرهم من الأماني والآمال ، وما يرجون من كبار الأعمال ، و يقدسون جمعية الاتحاد والترقي و يطرون من عرفوا أسماءهم من زعمائها ، و يكرمون كل من لقوا من أعضائها .

قد علم قراء المنار في ذلك العهد أنني كنت بإعلان الدستور مسرورا لا مغرورا وراجيا خائفا ، لا راجيا متمنيا ، ولكنني رأيت الناس في البلاد العثمانية سكارى من تأثير ذلك الانقلاب، أكثرهم يحسب أن البلاد سعدت سعادة لا شقاء بعدها . وأقلهم متزعزع ممتعض لما فاته من المال والجاه في ظل الحكومة الحميدية وهم أعوان تلك الحكومة وجواسيسها. وقد أشرت إلى أسباب خوفي ومشاراته في أول مقالة كتبتها في الترحيب بالانقلاب وأهمها توقع استبداد رجال الثورة من الاتحاديين وقيامهم بالعصبية الجنسية ودعوى « الحاكمية التركية » والغلو في الحرية .

لذلك كانت نصيحتي لأهل بلادي السورية التي أبثها في الأندية والسمار وأودعها أكثر الخطب السياسية والأدبية هي تذكيرهم بما يجب من العناية بالعلم واللغة العربية والتهذيب والثروة ليكونوا أحياء أعزاء بأنفسهم، وعضوا رئيسيا في بنية دولتهم ، وقد رجوت أن أجد ثلة من الشبان المفكرين، والكهول المحنكين ، أولي

عزيمة وشكيمة ، وأخلاق قويمة ، ينهضون بذلك متعاونين فلم أجد عند أحد أملا في العمل للامة من طريق الامة ، بل وجدت الاعناق كلها متلعة الى الحكومة ، والآمال كلها موجهة اليها ومحصورة فيها ، فحزنت حزنا شديدا ونبهت الجمهور الى غرورهم بالحرية الموهومة والسعادة التي يتمنونها من اعلان الدستور في مجالس كثيرة كان أوضحها وأظهرها خطبة ألقيتها في نادي الجمعية العثمانية في بيروت في احتفال كبير دعيت إليه عرضت فيها بتلك الاحتفالات العظيمة بالحرية وشبهتم فيها بعاشق أم عمرو اذ هام صبابة بها وهو لم يرها ، ولا شاهد شيئا من محاسنها، وانما سمع رجلا ينشد في الطريق

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة　　ردي على فؤادي أينما كانا

فاستنبط من هذا البيت ان أم عمرو أجمل النساء وأجدرهن بأن تعشق فعشقها، ثم لم يلبث أن أخذه من الحزن والجزع لفراقها ، بقدر ما أصابه من الشغف والصبابة بها ، لبيت آخر من الشعر سمعه من رجل آخر مارا في الطريق فاستنبط أنها ماتت وهو

لقد ذهب الحمار بأم عمرو　　فلا رجعت ولا رجع الحمار

هكذا صرحت بأولئك الجماهير اني أخشى أن تكونوا رقصتم طربا وهمتم سرورا بحرية متخيلة موهومة ، وأن ينتهي الأمر بيأسكم منها و بكائكم عليها قبل أن تروها ، وتتمتعوا بما ترجون من السعادة بها . وهكذا كان ووقع ما كان عندي ولم يكن عند الجمهور في الحسبان ، ولم يحل الحول على تلك الحرية الاتحادية وتقديس جميع الشعوب العثمانية لرجال جمعية الاتحاد والترقي حتى نجم في الجمعية قرنا الاستبداد والعصبية التركية ، فنطحت بهما الحرية والدستور وآمال الشعوب العثمانيــة فيهما حتى قضت عليهما فلم يبق لهما في البلاد العثمانيــة عين ولا أثر ، وما انقطعت آمال هذه الشعوب من الدولة التي دانوا لسلطانهـا عدة قرون الا وتجددت لهم آمال أخرى في حياة الاستقلال القومي بل صاروا يفضلون الزوال على الخنوع لاستبداد هذه الجمعية المغرورة المتهورة المتكبرة

كانت الدولة العثمانية في القرون الاخيرة ، التي قويت فيها دول أوربة واعتزت، وتواطأت على استعباد الشعوب الأسيوية والافريقية ، هي الدولة الاسلامية الوحيدة المعترف لها بالحقوق الدولية معهم ، لذلك كان حرص المسلمين على بقائها واعلاء

شأنها عظيما جدا ، وكان تعلق الشعوب الاسلامية بها أكبر قوة لها فى نظر دول أوربة بما كانت تتقي ايقاظ شعورهم السياسي بما يوحيه اليهم من الوحدة والاستقلال . ولم تكن لهذه الدولة هذه القيمة إلا بكون بلاد العرب التى هى مهد الاسلام وموطن نشأته الدينية والمدنية، جزءا طبيعيا منها، ولكن الاتحاديين المستكبرين احتقروا العرب وبلادهم ودينهم فلم يرقبوا فيهم إلاّ ولا ذمة ، ولا دينا ولا حرمة فاضطهدوهم وأذلوهم ، وحاولوا ابطال لغتهم التى هى لغة كتاب الله ودينه استغناء عنها ومحاولة لنسخها باللغة التى جعلوها لغة « حاكميتهم الملية » وجعل بلادهم الخصبة كسورية والعراق تركية محضة وجزيرتهم مستعمرة للترك يتصرفون فيها تصرف المالك فى عقاره ، والسيد فى عبيده وإمائه

فلما رأيت بوادر هذه السياسة الاتحادية السوءى رحلت الى الآستانة دار الملك ساعيا لتلافى خطرها ، وايقاف ما كاد يستشرى من ضررها ، قبل أن يتسع الخرق على الراقع . فمكثت فى دار الملك سنة كاملة أطلع طلع القوم بمحاورة زعمائهم ووزرائهم ، ومذاكرة علمائهم وعقلائهم ، وما عدت من تلك العاصمة الا وأنا موقن بأن هذه الجمعية ستقضى على هذه الدولة ، وأن اضطهادها بسلطة الحكومة للعرب سيعيد اليهم عصبيتهم الجنسية التى فقدوها فى بلاد حضارتهم كسورية والعراق ، فعولت على السعى لجعل القاعدة التى يرفع عليها بناء النهضة العربية هى العلم والثروة والوحدة حتى لا تتوقف حياتهم على حياة هذه الدولة ولا يموتوا بموتها ، مع الحذر من ان يكونوا باختيارهم سببا من أسباب سقوطها، والاجتهاد فى موالاة الشعب التركى والتعاون معه على مكافحة النزعات الالحادية والنزعات المادية ، وقد أسس فى أثناء إقامتنا فى الآستانة ( المنتدى الادبى ) لجمع كلمة شبان العرب المشتغلين بتلقى العلوم والفنون فى مدارسها والتعاون على طلب العلم والتعارف والتآلف فى سبيل الارتقاء

بعد العودة من الآستانة بأشهر رحلت الى ( الهند ) فسقط فالكويت فالبصرة فبغداد فسورية، واتفق بعد وصولى الى سورية ان ظفر حزب الحرية والائتلاف فى الآستانة بحزب جمعية الاتحاد والترقى فى مجلس المبعوثين وماكان الفلج لهذا الحزب

الا بتألفه من أحرار العرب ومنصفى الترك وكانا حزبين فاتحدا وصارا حزبا واحداً فرأيت السواد الأعظم من السوريين فرحين مغبوطين بخذلان الاتحاديين بقدر ما رأيت قبل ثلاث سنين من اغتباطهم بهم وانتخارهم بالانتماء إليهم وانتمى الأكثرون منهم إلى الائتلافين خصومهم ، وخفتت أصوات من بقى من أتباعهم فكان الالوف من الناس يجتمعون فى الأندية والمحافل يتبارون فى إلقاء الخطب والقصائد فى الطعن فيهم والتشفى منهم ، بعد أن كانت تلقى فى الفخر بهم والثناء عليهم ، وابتغاء الزلفى عندهم والوسيلة إليهم

ثم أديل لهم من خصومهم الائتلافيين فى عاصمة الملك فنكلوا بهم فيها شر تنكيل ولم ينج من زعماء هؤلاء الخصوم إلا من فر متنكرا إلى أوربة أو مصر (ومنهم أميرالاى صادق بك والأستاذ حسن صبرى أفندى ورشيد بك ناظر الداخلية)

وكان ذلك كله فى أثناء حرب البلقان التى انكسرت فيها الدولة العثمانية حتى كادت دولة البلغار الجديدة تأخذ القسطنطينية منها عنوة ، ولولا ما أصاب الدولة منها من الضعف والوهن وما كان فى أثنائها من سحب قواها العسكرية من الولايات العربية لانتقم الاتحاديون ممن أظهروا لهم العداوة فى البلاد العربية ولا سيما الذين ألفوا الجمعيات الوطنية كما انتقموا من أعدائهم فى العاصمة ، ولكنهم لضعفهم أسروا الكيد ، وكظموا الغيظ والضغن ، وأظهروا الميل إلى الإصلاح والجنوح إلى الصلح وكان من أمرهم فى إبان انعقاد المؤتمر السورى فى باريس ما هو معروف ، وفى استمالة طالب بك النقيب بعد محاولة اغتياله أن توسلوا به إلى الاتفاق بينهم و بين الأمير ابن سعود

وقبل الانتهاء من تمثيل دور الاتفاق بينهم و بين ممثلى الحركة السياسية من العرب فى العاصمة ( وفى مقدمتهم أصدق أخلائنا وأشعرى سياستنا السيد الزهراوى و باقعة شباننا عبد الكريم الخليلى) اشتعلت نار الحرب الأوربية الكبرى ولم يلبثوا أن أصلوا الدولة العثمانية سعيرها ، وأحرقوها بشر شرورها ، وفى أثنائها اختاروا القيادة فيلق سورية (منبت النهضة العربية) أشد زعمائهم قسوة وأغلظ قوادهم قلبا واضرام

بسفك الدماء أحمد جمال باشا الذى نكل بخصومهم الائتلافيين فى العاصمة ذلك التنكيل الفظيع ، ومنحوه السلطة المطلقة فخدع أهل البلاد أولا باظهار الميل إلى العرب والرغبة فى مساعدة النهضة العربية ، وجعلها عونا وظهيرا للنهضة التركية ، تأييدا لما يضمها من الجامعة الإسلامية ، ومازال يفتل منهم فى الذروة والغارب ، إلى أن عرف أصحاب الأفكار المدبرة ، والفصاحة المؤثرة ، وأولى المبادىء الثابتة ، والعزائم الصادقة ، ثم مادهم فى المخادعة إلى أن جمع الجيوش من البلاد وقذف ببعضها جيوش الروسية فى حدودها الزمهريرية ، وألقى بالبعض الآخر فى أتون ملحمة الدردنيل الكبرى ، ومكن لنفسه فى البلاد — بعد هذا كله بطش تلك البطشة الكبرى تقتيلا وتصليبا للأفراد النابغين ، وتشريدا وتغريبا للاسر والبيوتات وللاغنياء والوجهاء ، ولا ذاك نكبة المخمصة الجتاحة ، فى إثر المصادرات الكثيرة للاموال الناطقة والصامتة ، حتى أكل الناس الاقذار والجيف بل أكلت الأمهات أولادها ، وهو يرى ويسمع ، ويتمتع ويفسق ويفجر ، وينهى ويأمر ، وفعل أقرانه وأمثاله فى العراق نحوا مما فعل فى سورية ، فأيأسوا الأمة العربية من الدولة العثمانية ، واضطروها إلى إعلان الثورة فى البلاد الحجازية ، فكانت من أسباب تقليص ظلها عن رءوسهم ، وزوال سلطانها من بلادهم ، ولكنه سبب اضطرارى ، لا مقصد اختيارى ، وإنما كان القصد حياة العرب بالحرية والاستقلال ، لا إماتة الترك بأيديهم ، ولا إماتة أنفسهم تحت أرجلهم ، ولا مجال فى هذا التمهيد للاشارة إلى شىء من وصف هذه الثورة ولا بيان ما عرفنا منها وما أنكرنا ، وإنما نختمه بأن الحرب العامة انتهت باحتلال جيش الثورة مع جيوش الحلفاء للبلاد السورية ، وبعد مرور بضعة أشهر على استقرار الاحتلال ، وتبدل الأحوال ، ويسرت لنا الرحلة الثانية إلى هذه البلاد ، وسنبين ما نرى فيه الفائدة والعبرة مما رأينا وسمعنا فيها ، وموعدنا الاجزاء الآتية من المنار ؟

# سورية بعد التحرير

لا تدعوا إلى الفتنة فإن أسرع الناس
إلى القتال أقلهم حياء من الفرار

الأحنف بن قيس

أذكى أوار هذه الحرب الضروس قوم ظنوا أن لهم بها جر مغنم ، وأضرم نارها أقوام دُعوا إليها دعا مؤملين دفع مغرم ، وساعد فيها شعب آخر ليمنع اقتراف المآثم، ويحول دون فناء العالم ،خدمة للانسانية التي تتألم. دارت رحاها خمس دورات، وجرت جيادها خمسة أشواط، وقطب رحاها ثابت وقصب السبق أحرز — أو كاد — فوضعت السذاجة الأشعرية مبادىء لاخماد ثورتها، وإسكان براكينها رحمة بالانسانية ، فانقادت الفضيلة الشخصية لتلك المبادىء السامية فانحل المغير عن أراض احتلها بسلم الصياصي التي كان قد أحكم بناءها . وظن أن فجر سعادة الانسانية قد تنفس ، وأن قد تساوت الأمم والشعوب في الواجبات والحقوق ، وانتشر لواء الحرية وطوى علم الاستعباد، ماذا جرى بعد أن وضعت الحرب أوزارها؟

تناول ذلك الدهاء العمري تلك المبادىء فحولها عن وضعها بالتأويل والتحريف استخلاص منها معاهدة للصلح كانت علة لجميع الحروب المنبثقة ،من تلك المعاهدة وستكون سبب حروب المستقبل وخراب العالم [1] فإذا كانت مبادىء ولسن محكمة عادلة فإن المعاهدة محشرية جائرة . جاس قوم خلال ديار قوم آخرين فاستباحوا بيضتهم . وانتهكوا حرمتهم والله من ورائهم محيط

أجلبت أمم بخيلها ورجلها على الوادعين الساكنين الآمنين من جيرانها فكانوا إلى الفتنة أسرع من اختطاف البازي أو هوى العقاب . فلما صرحت الرغوة عن اللبن الصريح ، واستبان الراجل من الراكب وتميز الأجرب من الصحيح، نكصوا على أعقابهم فولوا الدبر غير معقبين

أيقظت المبادىء الولسنية أمما وشعوبا من سباتها ، وفتحت للمرضى باب الشفاء وللموتى باب الحياة، — وإن يكن المؤولون قد أوردوا معظم الشعوب شعوباً، وجعلوا الخير المؤمول منها مقلوبا— فإن دم الحياة قد دب في الأجسام ،وتيار الانفلات من

(١) أنظر مبادىء ولسن ومعاهدة فرساي

سلطة المستعمرين قد تمشى في العقول، وتسرب إلى القلوب، وتقرب ما كان قد تباعد ، وانفلق صبح شعوبية راقية من بلاد كانت أعرق الأمم بالاستوقراطية ، بل لم يكن يدين بعبادة البشر — أو الملوك — الاحياء أحد على وجه البسيطة إلا ما كان في روسية ( منبعث النور الآن )

وكان من تلك الأمم والشعوب من تحفز للوثبة ، وأعد للاستقلال العدة الأمة العربية بأسرها وخصوصا أهل الشام والعراق وشبه الجزيرة منها

كونت هذه الأمة الأحزاب وألفت الجماعات ووضعت الأنظمة والقوانين لإدارة حركتها، والقيام بمهمتها، ثم توطيد نهضتها وإنماء علومها وثروتها، وأول مظهر من مظاهرها قيام ملك الحجاز على أسياده وأبناء دينه ( الترك ) دفاعا عن أبناء وطنه وجلدته قام بالثورة وشد عضده فيها بنوه ومن وراءهم الأمة العربية في مهاجرها وأوطانها، وانسل من بقى من شبان العرب في الجيش التركى فانضموا إلى هذه الحركة طمعا بتأسيس مملكة عربية تضم جناحى الجزيرة إلى قلبها

قام الثائرون قومتهم وساعدوا الاحلاف حاضرهم وباديهم على كسر شكيمة الترك وخضد شوكة الاتحاديين منهم فتجلى الترك عن العراق والشام والحجاز بعد ان قتلوا النابغين من شبان العرب ، وألبسوا أهل القطرين ( الشام والعراق ) لباس الجوع والخوف ، وساموهم أنواع التعذيب والخسف

فرح أهل البلاد العربية بتقلص ظل الترك عن ربوعهم وخصوصا النابهين منهم — اللهم غير الحكماء والعقلاء — بناء على موعدة وعدها الأحلاف للملك حسين ابن على أخذت بها معاهدة إن كانت كمبادىء ولسون فان معاهدة (سايكس بيغو) لها كمعاهدة فرسايل لتلك · فتضمنت معاهدة الشريف مع الحلفاء استقلال سورية والعراق على شروط وقيود حفظت [ للمحررين ] حقوقا قديمة وحقوقا حديثة وحددت معاهدة سنة ١٩١٦ مناطق النفوذ لكل من دول الاحلاف فكان من جراء ذلك التقسيم الذى تعانى سورية وحدها مضضه وتتجرع غصصه . تقسيم غير عقلى ولا شرعى ولا طبيعى ، تقسيم جعل بأس الأهلين بينهم شديداً ووضع في قلوب المحتلين بعضهم لبعض ضغنا جديدا ، ومزق أحشاء البلاد كل ممزق ، تقسيم

يستحيل معه دوام الراحة وتمكين الاستعداد للرقى الذاتى والاستقلال ، فالترقى و بعرقل مهمة الانتداب و يشل يد الاستقلال

« من غالب الطبيعة غلب » بأى وسيلة تقسم بلاد متصلة الحدود مشتركة المنافع متحدة اللغة إلى ما يسمى المنطقة الغربية ثم تقسيم هذه المنطقة إلى لبنان والساحل . ومنطقة شرقية ومنطقة جنوبية أو مملكة صهيونية

خلق الله هذه المملكة من الأرض متصلة متداخلة بعضها ببعض وخرقت لها السياسة ممالك ونسبت إليها أقواما ليسوا فى العير ولا فى النفير .

أحيت السياسة من ثنايا الدهر وطيات الزمان إسم الفينيقيين وأحدثت فكرة الصهيونيين بعد أن محيت فينقية من لوح الوجود ، وزلزلت طوارق الحدثان ملك اليهود ، و بدلت الأرض غير الأرض .

دعت الحاجة إلى إحياء الفوارق الدينية ، و بعث العصبيات المذهبية ، بعد أن أزال ظلم الاتحاديين كوامن الاحقاد واتحدت الأمة أيما اتحاد .

جرى كل هذا وادعاء الاصلاح لايزال قائما . وقضية الاستقلال معترف بها ولكن النفوس ملت الوعود بعد أن طالبت بالقيام بالعهود . قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، وتزهق الأنفس وترى الديار بلاقع .

لذلك عقد المؤتمر السورى فى دمشق وأعلن استقلال سورية جمعاء[1] استنادا على الحقوق الطبيعية والقومية والجغرافية والسياسية . واعتماداً على المبادىء الولسنية واعتراف الاحلاف بهذا الاستقلال

ثم اجتمع مؤتمر عراقى فى دمشق فأعلن استقلال العراق وانتخاب الأمير عبد الله نجل الملك حسين ملكا عليه

تناقلت الصحف والبرق خبر هذا الاستقلال ولم يعترف به الحلفاء بعد ، وقد رأينا أن نثبت هنا مقالة نقلتها إحدى الصحف المصرية عن مجلة (الرفيو) تحت العنوان الآتى

(١) سنثبت وثائق الاستقلال السورى العربى فى الجزء القادم

## استقلال البلاد العربية

« كنا أول من نادى بوجوب الاعتراف باستقلال البلاد العربية وقد نشرنا في اليوم الثاني لقرار مؤتمر دمشق ما يؤخذ منه صراحة أن من حسن السياسة أن تعترف فرنسة وانكلترة بالأمير فيصل ملكا على سورية والعراق وفلسطين فعاند البعض وكابر وأنكر علينا هذا القول ولكن الحوادث جاءت الآن مؤيدة لنا ونرى أيضا أن الذين يديرون دفة السياسة في بلاد الحلفاء قد اقتنعوا الآن بوجوب تحقيق رغبة الشعوب العربية

إن المعاهدة التركية التي سيضعها مؤتمر سان ريمو ستعين حدود المملكة التركية وتفصل منها عشرة ملايين من العرب الذين اشتركوا في هذه الحرب مع الحلفاء ضد تركية فاستحقوا بذلك أن ينالوا الحرية والاستقلال بلا شرط ولا قيد أعني أنه يجب على الحلفاء أن يتنازلوا عن كل تفويض أو وكالة على هذه البلاد وبهذه الكيفية يعود السلام الدائم إلى هذه البلاد فلا نعود نسمع فيها قعقعة السلاح . ولدى النظر في تنظيم آسية الصغرى يجب أن لا تترك الشعوب العربية ألعوبة في يد المصادفات السياسية

إن تكوين مملكة عربية قوية يضع حداً لكل هذه الاضطرابات ويعيد الامن والسلام إلى هذه الربوع الشاسعة ويضع أيضا مستقبلها الاقتصادي وفي هذه الحالة تكون فرنسة أول من يستفيد من نمو الزراعة وازدياد التجارة والصناعة التي لها فيها مركز ممتاز من قديم لا يجب تضييعه . إننا في الغالب نترك مزاحمينا الأكثر مباراة ونشاطا يسبقوننا إلى اغتنام الفرص ولكن إذا جرينا على سياسة مخالفة لهذا الرأى فسيسبقنا غيرنا . ولا ندهش يوما إذا وجدنا أنفسنا في عزلة عن الاتحاد الأوربي كما حدث في المسألة الروسية وغيرها وقد علمتنا التجارب في الماضي أن ننتفع بها على الأقل في هذا الوقت وأن نتبع في آسية الصغرى الاحتراس والاقدام بحيث إذا أخرنا قدما عن البلاد العربية فلا عذر لنا إذا ضاع نفوذنا الاقتصادي

إن انكلترة التي ترقب الحوادث عن بعد تستعد الآن للتنازل عن دعواها

فى العراق واننا ننتصح لها بأن تسرع فى ذلك ولا ننسى أن حلفاءنا من أصحاب التجر به الذين يعرفون كيف يغتنمون الفرص والذين متى رأوا أنه لا يمكنهم العمل بخلاف ذلك ينفذونه طبقا للظروف وهى حكمة سياسية

« ومن المرجح أن اعترافنا باستقلال سورية سيقابل فى شمال افريقية بكل سرور وابتهاج وسيوطد نفوذنا فيها ولا بد أن تبتهج جميع الامم أشد الابتهاج اذا ترانا نعامل بالرفق والاعتبار اخوانها الذين يسكنون بين البحر الابيض المتوسط والخليج الفارسى

« ونحن نلاحظ مع الارتياح ان انكلترا تحبذ هذه الخطة

« وها نحن نشعر بتغيير محسوس فى لهجة الجرائد الفرنسية من بضعة أيام مما يجعلنا نرحب بهذا التغيير الذى يفتح أعين من بيدهم زمام السياسة الخارجية ليروا الحقيقة وهذا ما اتبعته الجرائد الفرنسية الكبرى ولكن يجب علينا أن لا نقف فى نصف الطريق وأن تستمر المجاهدة ومتى صار الاعتراف باستقلال سورية يجب علينا المساعدة فى تأييده لتحيا حياة مضمونة

« إن فرنسة تظهر عظمتها بضمانة حقوق وحرية كل فرد و بذلك ستنال ثمار حكمتها وحذقها .

« ومن المحقق ان التدابير القديمة التى لا تزال توجهها ضد الملك فيصل ستحفظ لفرنسة محلا غير لائق فى الحكومة السورية وقد بين ذلك الجنرال نورى بك الذى أوفده الملك فيصل إلى باريس ليوضح للحكومات الحلفاء مركز سورية والعراق وعلى الخصوص قرار مؤتمر دمشق فى حديث له أفضى به آخر هذا الشهر لمندوب الصحف الفرنسية وفى الاستطاعة أن نعتمد على شرف الملك فيصل وفوق ذلك فان سورية دائما فى حاجة إلى فرنسة فلذلك يجب أن نتأكد أننا سنقابل دائما فى سورية كاصدقاء يمكن الاصغاء بالاحترام إلى نصائحهم واقتراحاتهم وسنحفظ لنا مستقبلا زاهرا فى هذه المملكة التى تسمى بحق شقيقة فرنسة فى مدنيتها القديمة والتى لا تطلب إلا أن تعيش الآن عيشة راضية تحت ظل ومساعدة الحلفاء وسيجد صنعنا وتجارنا وأساتذتنا فى البلاد العربية ميدانا واسعا لاظهار نشاطهم ومقدرتهم ومشروعاتهم

« واذا تقرر الاعتراف باستقلال سورية والعراق فسيحفظ فى فلسطين منطقة خاصة

تحت الرقابة البريطانية ومعلوم أن فلسطين تشمل الاماكن المقدسة وعددا عظيما من اليهود مختلطا بأجناس مختلفة تعيش معا فى الشرق فيجب اتخاذ مايكفل حقوق كل واحد فى هذه المنطقة واحترام الاماكن المقدسة التى يقدسها العموم ولا يوجد ما يبرهن على عدم كفاءة العرب لأخذهم هذه المسئولية على عاتقهم لان الشعوب العربية تحترم أكثر من غيرها حقوق وعادات، وعقائد الآخرين الذين يستظلون ظلها .

«إن فرنسة لا يمكنها أن تمد يدا لتقطع أوصال العربية بل يجب عليها أن تعمل مع حلفائها بما يطابق رغبات الشعوب . مثل هذه الرغبة ستجلى فى حل مسئلة لبنان ومؤتمر دمشق والملك فيصل يعترفان ولا بد للبنان بالحق فى أن ينفصل فى شأنه و يعرب عن مصيره ولأهل لبنان الحق فى تأليف مملكة أو جمهورية وأن يضعوا شرائعهم بحرية تامة وكل رجائنا أن لا يكره اللبنانيون على الانضمام إلى حكومة سورية»

انتهى ما نقلناه عن مجلة الريفيو وذكرت نحوه جرائد أوربية أخرى وقد أوضح مؤتمر ( سان ريمو ) المقصود من الانتداب والوصاية وأيد اتفاق الإحلاف على مخلفات الرجل ( المتوفى )وسواء كنا استقلاليين أم كنا احتلاليين فانه ليؤمننا تأخير البت فى مصير بلادنا وإن سرنا أنه كان من أسباب تكون الأمة وتنشئة الحياة الاستقلالية فيها ، فان أمانى ضاعت وآمالا خابت وثروة أخذت فى كثير من بلاد وأقوام الامة السورية ، ولم تكن الضائقة الاقتصادية والسياسية بعد التحرير بأخف منها أيام الاستبداد

لوأحسن أولو الشأن صنعا لصينت نفوس وحفظت أعراض ولا ستغنى عن مناوشات وحروب كثيرة ، بل لو كان المستشارون ( غير الرسميين ) من الوطنيين غير ذوى أضغان لسهل كل عمل يراد دون التقتيل والتنكيل و إغراء الاهالين بعضهم ببعض مما يزرع الاحقاد بين طوائف الامة فتكون وبالا مستقبلا على الحاكم والمحكوم

ثم مابالنا نرى أشد الناس اغتباطا بالتحرير والاصلاح امترعهم إلى الهجرة فى إبانه ؟ مع أن بلادهم جعلت تحت سيطرة أمة المدينة التى هى أكثر الناس احسانا اليهم

اقرأ فصلا نقلناه فى هذا الجزء عن كتاب فلسفة الحرب ثم اقرأ مانقلنا فى هذا المقال عن الريفيو . وراجع مايقوله الوزراء وأصحاب الاقدار بهذا الصدد وما يتوخا

الاحلاف فى مستقبل سورية . وقابل حالة سكان سوريه الجنوبية والشرقية والشماليه والغربية واحكم على مستقبل الأمة فى عصر الحرية السعيد الذى يتبعه لا محالة تحقيق ناموس تنازع البقاء أو بقاء الأصلح واعلم بأن « كل سلطة منحدرة من العلو » وأن « صاحب السلطة لم يعط السلطة عبثاً »

( قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ) صالح مخلص رضا

## تقريظ المطبوعات الجديدة (*)

**ديوان ايليا أبو ماضى** ( الجزء الثانى ) صفحاته ١٩٢ بالقطع الكبير طبع على ورق جيد بمطبعة «مرآة الغرب» فى نيويورك سنة ١٩١٩

شعر إيليا أبو ماضى معروف لدى فريق الأدب عامة وقراء المنار خاصة فهو يطرق المواضيع المتنوعة من سياسية واقتصادية وأخلاقية وأدبية وتصصية . وقد جعل ديوانه هدية إلى أحد أفاضل أدباء السوريين ، وكتب له جبران خليل جبران الكاتب الاجتماعى الكبير مقدمة فى الشعر والشاعر والخيال آية فى الابداع والوصف فهى إيحاء من طبيعة الوجود

ومن قصائده «فلسفة الحياة» أم القرى - أو «ملفرد الجميلة» فى الوصف «والشاعر والأمة» فى السياسه ونوم الأمة وغفلتها ، وكذلك قصيدة «وداع وشكوى» التى يصف بها سفره إلى (نيو يورك) لكنه ألحى على شعبه وبلاده باللائمة فى هذه القصيدة وظهر بمظهر اليأس من عودة مجد الأمة اليها لتقاعسها واستبداد حكومتها فمنها قوله :

وطن أردناه على حب العلى فأبى سوى أن يستكن إلى الشقا
كالعبد يخشى بعد ما أفنى الصبى يلهو به ساداته أن يعتقا

شعب كما شاء التخاذل والهوى متفرق ويكاد أن يتمزقا
لا يرتضى دين الاله موفقا بين القلوب ويرتضيه مفرقا

لم يعتقد بالعلم وهو حقائق لكنه اعتقد التمائم والرقى

(*) كتب تقاريظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح رضا

ومنها : وحكومة ما إن تزحز أحمقا عن رأسها حتى تولى أحمقا

إلى أن يقول : بغداد فى خطر ومصر رهينة وغداً تنال يد المطامع جلقا

ومنها فى الدولة : ضعفت عزائمها ولما ترعوى عن غيها حتى تزول وتمحقا

ولو شئت أن أختار من شعر ايليا لأثبت منه هنا شيئاً كثيراً ، وإن شئت قلت : كان على أن أثبت معظم قصائد الديوان

**ديوان العقاد** الجزء الأول منه صفحاته ١٢٧ بقطع المنار طبع بمطبعة «البسفور» بمصر سنة ١٣٣٤ هـ ويطلب من مكتبة المنار

ناظم هذا الديوان محمود أفندى العقاد المشهور بفضله وأدبه ونثره ونظمه وحرية ضميره وقد صدر ديوانه هذا بمقدمة فى تأثير الآداب فى نهوض الأمم ، وفرق فيها الأدب إلى فرقين : أدب ذكاء وأدب طباع وعلق الرجاء وناطه بالثانى منهما

لست وقد طال العهد على تقريظ ديوان العقاد بمقرضه الآن أو مقرظه ولكننى أشير اليه إشارة وأنتظر صدور الجزء الثانى منه

من غرر قصائد هذا الديوان قصيدة ( الحب الأول ) التى عارض بها قصيدة لابن الرومى أبياتها ١٩٣ وموشح «سباق الشياطين» ومن مقاطيعه

( فى الحياة ) :- قالوا الحياة قشور قلنا فأين الصميم

قالوا شقاء فقلنا فأين يبغى النعيم

إن الحياة حياة ففارقوا أو أقيموا

و ( تنازع الفردوس ) يتحاسدون على الحياة فما لهم لا يحسدون البر فيما يؤجر

نقموا على الكفار أن تركوا لهم أجر السماء وأنكروا ما أنكروا

لو كان ما وعدوا من الجنات فى هذى الحياة لسرهم من يكفر

و ( ضيق الأمل ) شر ما يلق الفتى أجل ضيق عن واسع الأمل

ولشر منهما أمل ضيق عن فسحة الأجل

ومنها : ( الزمن ) إن يوما يمر هيهات هيهات بغادى الطريق بعد ذهابه

نحن نستدفع الزمان فان فا ت أخذنا بالذليل من جلبابه

يا له من زائر يحمل إذا جا ء ويفدى بالروح عند ذهابه

## الازاهير المضمونة . فى الدين والحكومة

صفحاته ٢٩٧ بالقطع الوسط طبع سنة ١٣٣٨ هـ فى مطبعة هندية بمصر بحرف (بنط ٢٤) مضبوطا بالشكل الكامل على ورق جيد

مؤلف هذا الكتاب هو المعلم أمين ظاهر خير الله الشويرى اللبنانى ابن صديقنا المأسوف عليه المعلم ظاهر خير الله صليبا وقد صدره بهذين البيتين

هذا الكتاب حوى علما ومعرفة    بطاعة الله فى جهر و إسرار
من اصطفاه دليلا فى مناهجه    يحز بدنيا وأخرى خير أوطار

وافتتحه برسائل أولاها بعرض الكتاب على ملك الحجاز . والثانية أمر الملك بتقديم الكتاب إلى نجله الأمير فيصل ( ملك سورية ) والثالثة والرابعة والخامسة معاملات ومراجعات بشأن الكتاب . ثم تقرير المجمع العلمى (بقلم الشيخ عبد القادر المغربى ) ثم «تقدمة الكتاب» إلى ملك الحجاز وأنجاله

أول الكتاب ثم « حقائق لابد منها » وهى ، ثم ديباجة الكتاب ، فالفصل الأول فى وجود الله ثم بقية الفصول إلى الرابع والعشرين وكلها فى فلسفة الوجود والتدين والدين وعلاقة الانسان بالخالق وحكمة خلق الانسان إلى غير ذلك مما ينتظم فى سلك مباحث كلامية أو لاهوتية أدبية جعلها دعائم ومقدمات لما يريد بناءه وتشيية من ضرورة الدين لاصلاح الدارين ، وهى الشطر الأول من الكتاب.

وأما الشطر الثانى وهو المقصود بالذات من الكتاب فيبتدىء بالفصل ٢٥ (الدين أساس العمران) و٢٦ ( تدين رأس الحكومة) إلى الفصل ٤٨ ثم الذيل وهو فصلان الأول ( لابد للحكومة من دين ) والثانى ( دين الحكومة العربية الاسلام )

والمطلع على هذا الكتاب يعجب بفضل مؤلفه وشدة عنايته به مدفوعاً بباعث التدين الحقيقى وحب الوطن وخدمته و بلوغ الجهد فى خدمة الأمة العربية ، وقد أفرغ وسعه فى جمع المسائل و إيراد الأدلة عليها من عقلية ونقلية . فجزاه الله عن العربية وأهلها خير الجزاء ، هذا واننا نتمنى لمؤلفه هذا الرواج لتتم فائدته وتجزل عائدته